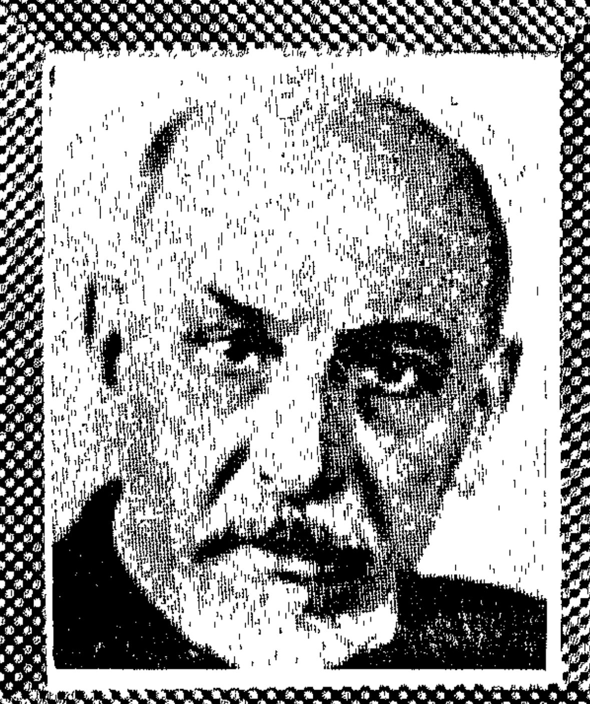


سلسلة أعلام الفكر العالمي

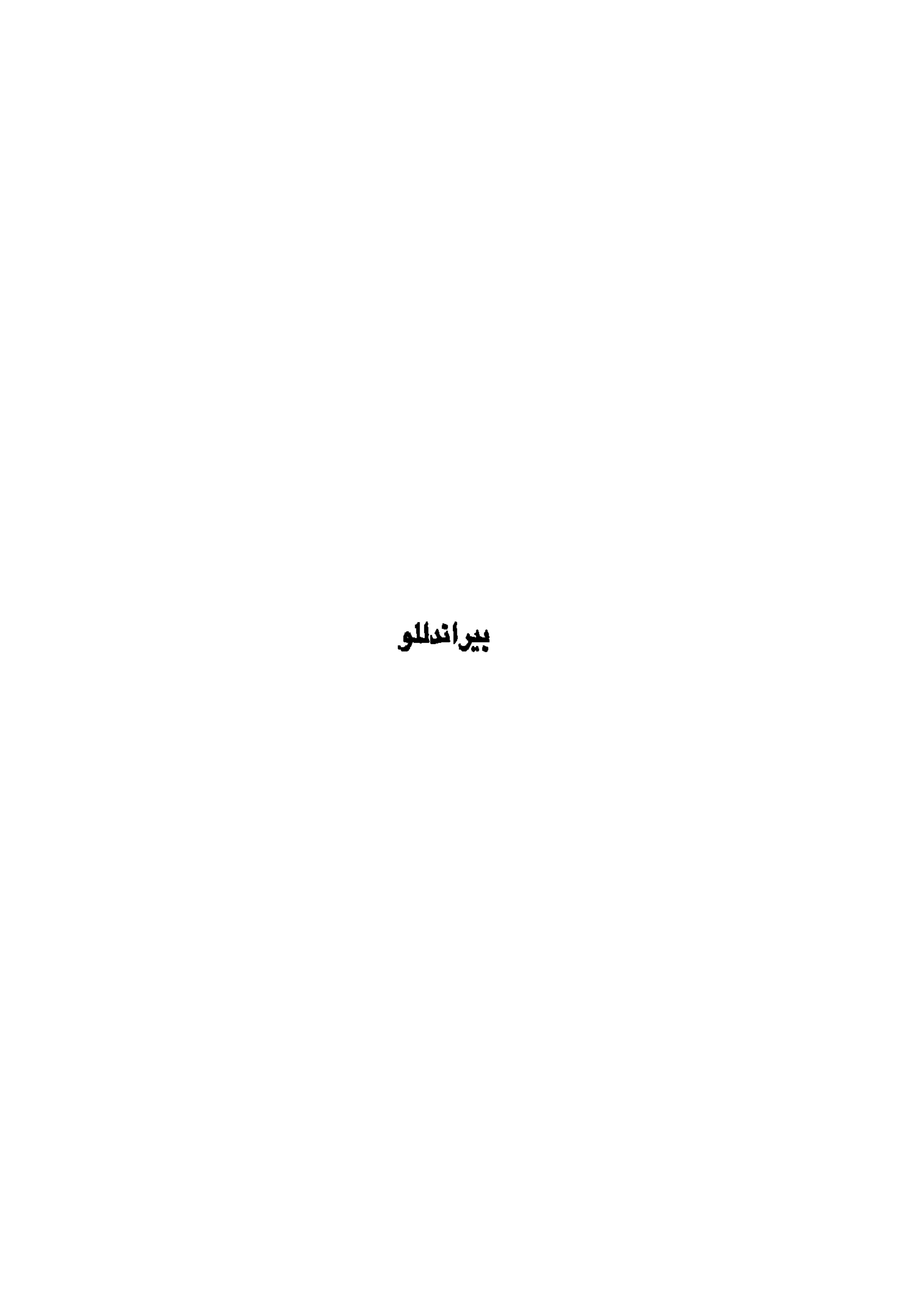




يراندللو

تأليف : عوض شعبان





بيراندللو

الطبعة الاولى
شباط (فبراير) ١٩٧٩

سلسلة اعلام الفكر العالمي

بيراندللو

تأليف : عوض شعبان

اهداء

الى ليلى شحادة
مع رفقة الدرب الطويل

ع٠ش

من هو بيراندللو ؟

ولد لويجي بيراندللو في مدينة جيرجنتي ، وهي اغريجنتو القديمة التي بناها الاغريق في جزيرة صقلية ، في ٢٨حزيران عام ١٨٦٧ من ابوين صقليين · والده ستيفانو بيراندللو كان قد اشترك وهو فتى يافع ، في حملة غاريبالدي التوحيدية · وامه كاتيرينا ريتشي غراميتو تنحدر من اسرة كان لهـا دور في النضال القومي الايطالي الذي ادى الى توحيد الدويـلات الايطالية في دولة واحدة ·

ابصرت عيناه النور في منزل ريفي على مقربة من احـدى الغابات التي كان لها شأن في اعماله الادبية فيما بعد ، حيـث تركت البيئة التي عاش فيها فترة سنيه الاولى ، ابلغ الاثر في منحاه الفكري وفي تكوين شخصيته الادبية ·

تنقل لويجي وهو طفل ، بين جيرجنتي وبورتو ايمبيدوكلي الواقعة على ساحل البحر الجنوبي · تلقى علومه الابتدائية في

مسقط رأسه ، وعلومه الثانوية في باليرمو عاصمة صقلية ٠ اما تحصيله الجامعي فقد بدأه في جامعة روما وانهاه في جامعة بون بالمانيا ٠

اول انتقال في طفولة بيراندللو ، كان عندما اصيب والده تاجر الكبريت بالافلاس ، حيث انتقلت الاسرة من جيرجنتي الى باليرمو ٠ وعام ١٨٨٥ كان الانتقال الثاني ، حيث استقرت هذه الاسرة في بورتو ايمبيدوكلي ، وبعد فترة قصيرة عاد لويجي الى باليرمو لمتابعة دراسته الثانوية ٠ وعندما انهى هذه الدراسة عاد الى بورتو ايمبيدوكلي ٠ لكنه اضطر الى مغادرتها ثانية الى باليرمو من أجل الانتساب الى كلية الاداب فيها حيث تعرف هناك الى بعض الطلاب الذين اصبحوا في المستقبل من قادة الحركة الفاشية في صقلية ٠

طفولة قلقة

كان المنزل الذي ابصر فيه بيراندللو النور ، منزلا ريفيا متواضعا رغم ثراء والده تاجر الكبريت لان ابويه قد التجا الى هذا المكان النائي عن المدينة هربا من وباء الكوليرا الذي عصف بجزيرة صقلية في ذلك الوقت ٠ ولم تستطع والدته ارضاعه من ثديها بسبب جفافه ، فعهد بالطفل الى امرأة ترضعه ٠ ويقول هو نفسه عن هذه الفترة من حياته : « لقد

نشأت نحيل الجسم خائر القوى بالكاد اقوى على المشي للذهاب الى المدرسة ، فتولى امر تنشئتي مرب خاص » .

خلال طفولته ، بدأت تظهر على هذا الفتى ، بوادر تنبيء بموهبة ادبية فذة ، كان يغذيها بقراءاته المستمرة للقصص والروايات ذات المنحى العاطفي ، وقد كتب مسرحية ذات اطار تراجيدي ،من خمسة فصول قدمها مع شقيقته واصدقائه . (١)

نما ميل الفتى الى الادب بشكل جامح ، وفشل والده في تغيير اتجاه ابنه نحو الادب ، محاولا اقناعه بدراسة العلوم التجارية ليغدو تاجرا مثله يرث عنه اعماله التي تدر عليه ارباحا طائلة .

كان الولد يمقت الارقام ويشعر بالسأم ازاء الحساب والرياضيات وقلما كان يبدي فهما لها .

لقد رضخ الوالد لرغبات ابنه ، فعكف هذا على دراسة اللغة اللاتينية والادب . وكان في مراحل دراسته الابتدائية والثانوية من المجلين .

وعندما انتقلت الاسرة من جيرجنتي الى باليرمو ، تابع

(1) Corrado Simioni « Luigi Pirandello », Arnoldo Mondadori Editore - Milano 1970.

الفتى دراساته الادبية، حيث كان ينزل في مسكن احد اقربائه · واخذ شغفه بالمطالعة يغدو شيئا ملحوظا ، اذ كان ينكب على كل كتاب يحصل عليه ، وكان جل وقته يقضيه في المكتبة الاهلية في باليرمو ·

الحب الاول

في تلك الفترة ، عرف لويجي الحب للمرة الاولى في حياته · فقد احب احدى زميلاته في المدرسة وكان عمره ست عشرة سنة · واعترف فيما بعد ان مجموعته الشعرية الاولى (Mal Giocondo) اي « الالم المفرح » كانت بتاثير تلك العاطفة الساذجة · (١)

لكن اشعاره التي نظمها في تلك السن المبكرة ، كانت تفيض بمرارة الحياة ، وتعكس نزعته الواضحة للسخرية ، خصوصا من البيئة القاسية والزيف الذي كان يسود المجتمع · (٢)

ويتجاهل مؤرخو أدبه ، حياته العاطفية تقريبا ، وكأنهم يوحون الينا بأن هذا الكاتب لم يكن على علاقة عاطفية سوى بزوجته (تزوج عام ١٨٩٤) على اعتبار ان نزوة الحب الاول

---

(١) المرجع السابق ·

(2) Domenico Magri « Storia della Letteratura Italiana » Societa Editrice Internazionale - Torino 1964

التي هزته يوم كان حدثا ، لم تترك اثرا بارزا في مسار تكوينه العاطفي والفكري . لكن تصرفات زوجته ازاءه ، وان كنا نرجع هذه التصرفات الى اصابتها بلوثة عقلية تلمح الى غيرة جامحة قد تكون نتيجة وقوفها على مغامرات عاطفية وجنسية اتاها هذا الاديب وحاول اخفاءها عن جميع الناس . اذ لا يعقل ان يكون هذا الرجل المعافى الذي ولد ونشأ في بيئة ميالة الى اشباع الرغبات كبيئة صقلية ، ان يخلد الى الرهبنة وهو الذي خاض في تفاصيل العلاقات الحميمة في قصصه ومسرحياته وكانت اعماله تدور حول هذه العلاقات واثرها على التكوين النفسي والاجتماعي للانسان .

في المدينة الخالدة

في شهر تشرين الثاني من عام ١٨٨٧ انتسب لويجي بيراندللو الى جامعة روما ، حيث عاش في « المدينة الخالدة » بمنزل عمه روكو . وفي ذلك العهد كتب بعض الاعمال المسرحية التي لم يقدر لها ان تمثل لعدم وثوقه من كونها اعمالا جيدة ، وفي عام ١٨٨٩ نشر مجموعته الشعرية الاولى (Mal Giocondo) لكنه لم يواصل نظم الشعر حيث تحول نهائيا عنه .

كما وجد نفسه مضطرا ، نتيجة حادث تعرض له ، الى ترك

الجامعة في روما ، ومتابعة دراسته الجامعية في جامعة بون ، بالمانيا ، حيث درس الالمانية • وبعد ان اجادها ترجم عنها الى الايطالية مجموعة شعرية للشاعر الالماني الاشهر غوته • وبعدما حصل على الاجازة في الاداب ، عمل في التدريس بعض الوقت ، في الجامعة نفسها ، قبل ان يعود الى روما عام ١٨٩٢ ليبدأ حياته ككاتب وليس كشاعر ، حالما اقنعه صديقه الكاتب القصصي لويجي كابوانا بذلك •

تزوج في ٢٧ حزيران عام ١٨٩٤ وهو العام الذي عاد فيه الى روما ، من ماريا انطونييتا بورتولانو وهي فتاة جميلة مثقفة من مواليد جيرجنتي ايضا • وانجبا بين اعوام ١٨٩٥ و ١٨٩٩ ثلاثة ابناء هم : ستيفانو ، ليبتا وفاوستو •

هذا الزواج كان تعيسا ، بسبب غيرة الزوجة العمياء • وكان جو المنزل مشحونا بالمشادات التي تضاعف شعور الكاتب بالتعاسة ، وتقرب زوجته من شفير المرض العقلي الذي وقعت ضحيته بعد سنوات ، فيما كان الشلل الجزئي يدب تدريجيا الى ساقيها •

لقد قسا عليه القدر مرة اخرى ، حينما اصيب والده بالافلاس مجددا ، وحرم هذا الكاتب الذي لم يكن بوسعه العيش من نتاجه الادبي في ذلك الوقت ، من مساعدات والده، وبات لا يملك من حطام الدنيا الا هذه الاوراق التي ينكب عليها

معظم وقته ، مضاعفا نشاطه الفني ليعيل امرأتـــــه واولاده الثلاثة · وانشأ يعطي دروسا خصوصية لطلاب العلم · وعاد للتدريس اذ عين استاذا للغة الايطالية وآدابها في احد المعاهد العالية بمرتب شهري متواضع ·

كانت تلك الحقبة من حياته ، من اشقى فترات عمره · كان مضطرا ـ كما جاء في رسائله الى اصدقائه ـ للجلوس حتى ساعة متأخرة من الليل البارد ، الى طاولة صغيرة يكتب فـــي ضوء قنديل باهت الاضاءة الى جانب فراش زوجته المريضة المصابة بشلل جزئي في ساقيها ·

الاضطراب العائلي

في الوقت الذي كان فيه بيراندللو يبدأ في الحصول عـــلى مردود الشهرة ، شرع واقعه العائلي يتجه نحو الاضطراب · فقد اصيبت زوجته المشلولة بلوثة عقلية نتيجة الغيرة العمياء التي كانت تتفاعل في نفسها ، رغم وفائه لها ·· واضطـــــر اخيرا الى ترك المنزل وهجر زوجته واولاده ، واخذ يعيشـــــ متفردا مع كتبه ·

لكن وحدته هذه لم تطل ، فاضطر للرجوع الى منزله بعدما ساءت حالة زوجته الصحية واخذ يلازمها اشفاقا عليهـــا · وكانت هذه الملازمة فوق قدرة احتماله ، بحيث كان يفضـــل

الموت على هذه المعاناة • وزاد الامر سوءا حينمـــا اندلعت الحرب العالمية الاولى ، وتطوع ابنــه البكــر ستيفانو فـــي الجيش فأصيب وأسر ، وقد حملته زوجته المريضة مسؤوليــة ماحدث ، وضاعفت مشاداتهما تفاقم الاضطراب العائلي الذي لم يعد يطاق ، وكان يدعوه : «جحيمي الدائم» • وبعدما تطوع ابنه الثاني فاوستو في الجيش وذهب الى الجبهـــة ، زادت شراسة زوجته المريضة ، حتى انها اخذت تغار عليه من ابنتهما ليبتا لان هذه كانت تبدي عطفا بالغا على والدهـــا البائس ، مما اضطر الاب الى ان « ينفي » ابنته الى فلورنســـا عنـــد اقاربه هناك ، ليعيش عذابا مقيما مع امراة تعصف بها لوثـــة الجنون •

حينما وضعت الحرب اوزارها ، وعاد الولدان الى بيتهمـــا الابوي ، لم تكتمل فرحة بيراندللو بهذا الانقشـــاع البادي من بين ضباب العذاب ، لانه اضطر الى وضع زوجته في احـــد المصحات العقلية • وكان هذا يزيد من الم الكاتب الذي كـــان يحبها كثيرا ويراها ، رغم كل ما سببته له من عذاب ، ملهمته وحبيبته• وكان مقتنعا بان تصرفاتهاالشاذة لم تكن بارادتها •

وحتى يتغلب على الشعور بالوحدة والفـــراغ ، اضطـــر لمضاعفة انتاجه الادبي ، فكان يعمل كثيرا وبـــلا انقطـــاع ، متشبها بانطون تشيخوف كاتبه الروسي المفضل الذي تغلـــب على قصر الحياة بالانتاج الغزير •

اولى مجموعاته القصصية ظهرت في نفس العام الــــذي تزوج فيه ، وكانت بعنوان « غراميــات بــلا حــب » واولــى مسرحياته مثلث على المسرح عام ١٨٩٨ وهي ذات فصل واحد وكانت بعنوان «الخاتمة» · وعام ١٩٠١ نشر قصته «الاستثناء» وعام ١٩٠٢ الحقها بقصة « الجولة » ·

ظهرت روايته « المرحوم ماتيا باسكال » عام ١٩٠٤ وفيها ضاعف مسيرته الادبية · لكن بريق الشهرة الذي كان ينشده لم يلمع في افق حياته الفنية ، فلم يكترث النقاد كثيرا بانتاجه الادبي المتنوع ، فظلت موهبته الادبية في طي التجاهل ، وهو وان كان مقتنعا من ان مجموعته الشعرية « الالم المفرح » لم تكن لتتيح له ان يغدو ندا لدانتي او بترارکا ـ كما كان يسخر هو من نفسه ـ فان روايته « المرحوم ماتيا باسكال » كانــت خطوة هامة في مسيرة حياته الادبية (١) · خصوصا وانها قد ترجمت الى عشرين لغة اجنبية · وكان يخفف من وطــأة شعوره بالغبن من قبل النقاد ، بالتاكيد على ان هؤلاء النقاد لم يفهموا مغزى ادبه · (٢)

في ذلك الوقت ، كان يكتب مقالات ادبية وقصصا في مجلات

(1) Corrado Simioni « Luigi Pirandello » Arnoldo Mondadori Editore - Milano 1970.

(2) Domenico Magri « Storia della Letteratura Italiana », Società Editrice Internazionale - Torino 1964.

ادبية عديدة ، ابرزها « نوفا انتولوجيا » و « مارتسوكو » ويؤلف روايات ومسرحيات تراجيدية واخرى كوميدية ، اضافة الى قيامه بالتدريس في المعهد العالي للمعلمين ٠

عام ١٩١٥ ماتت والدته ، وتفاقمت صحة زوجته العقلية ، ومضى ابنه ستيفانو الى الجبهة متطوعا في الجيش فرفرف النحس فوق منزل هذا الانسان المعذب ٠ وجاء زواج ابنتـــه فيما بعد ، ثم رحيلها الى التشيلي ليزيد معاناته ٠

هل هادنه النحس ؟

بعد الحرب العالمية الاولى التي اشتركت فيها بلاده الـــى جانب الحلفاء ضد المانيا والنمسا ٠ وبالتحديد عام ١٩٢١ ، مع النجاح الكبيرالذي حظيت بهمسرحيته «ستة اشخاص تبحث عن مؤلف » مع انه بدأ نشر انتاجه المسرحي وهو في الخمسين من عمره ، جاءته الشهرة التي كان يحلم بها ٠ لقـد اثــارت هذه المسرحية فور تقديمها على المسرح ، جدلا كبيرا وضجة مدوية بين النقاد ، الذين اختلفوا بين مؤيد لـــه ومعارض ٠ وكذلك حظيت مسرحيته « انريكو الرابع » التي قدمت علـــى مسارح لندن ونيويورك ، بنفس الضجــة والجـــدل والاراء المتباينة ٠ لقد حرضت مسرحيتاه هاتان الاوساط الادبية في ايطاليا للاهتمام به ، بل وتعدت شهرته التخوم الايطاليـــة ، بحيث ان احد المعجبين به من اصدقائه ويدعى ادريانو تيليير،

نشر دراسة حول المسرح المعاصر بين فيه الاساس الذي بنيت عليه اعمدة المسرح البيراندللوي · (١)

كما اخذت رواياته التي يكتب كل واحدة منها في سنة ، تتواتر ، الامر الذي بشر ببزوغ نجم جديد في سماء الادب الايطالي مادته زاخرة بالسخرية والغرابة والقسوة احيانا·(٢)

لم يتقاعس بيراندللو عن استغلال الضجة التي اثيرت حوله فواصل نشاطه الادبي المحموم · لقد كتب بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ مسرحيات من فصل واحد ، هي : « الاستثناء » و « الغبي » و « الرجل ذو الوردة في فمه والولد الآخر » اضافة الى مسرحية كوميدية من ثلاثة فصول ، هي : « الحياة التي منحتك اياها » ·

في عام ١٩٢٤ كتب للمسرح ايضا « لكل واحد نمط » ،وفي عام ١٩٢٧ كتب مسرحية « ديانا وتودا » وعام ١٩٢٩ كتب « لازارو » وعام ١٩٣٠ كتب « حسب تقديرك » و « تلك هي القضية » ·

وبلغ الذروة في المكانة الادبية كسيد للمسرح الايطالي

(1) Corrado Simioni « Luigi Pirandello », Arnoldo Mondadori Editore - Milano 1970.

(2) Edgard Cavalheiro « Maravilhas do Conto Italiano » Editora Cultrix - Sao Paulo 1957.

التي بقي منها الفصل الثالث دون اعداد ، لكنه كان قد سرد وقائع هذا الفصل كما رسمه في ذهنه ، امام ابنه ستيفانــــو قبل أن يموت • وكان آخر اعماله موضوع كتبه للسينمـــا ، اضافة الى كتيب عن الاوبرا •

وبموته فقدت الاداب الايطالية واحدا من ابرز ممثليهــــا الطليعيين ، سيما وانه الكاتب العميق الذي ابدى اهتمامـــا بمعالجة القلق والعذاب لدى البشر ، وعبر بمعرفته وضلوعه في الفلسفة المعاصرة عن طريق التعبير المسرحي القوي• ويصر دومينيكو ماغري ، عــلى القــول ان بيراندللو وضــع العــالم الحديث امام انعكاس قسوته وغالى فــي التجهــم امــام الــه الغاضب ، فكان يقبض على انفاس قارىء قصصه ومشاهـــد مسرحياته ، حيث يغدو مخيفا بعد ان يقذفهما فـــي هاويـــة سحيقة من الانكار ، فيها يفقد الكائن الانساني نفسه ، فيمـــا هو يبحث عن طريق اكثر امنا وراحة • (١)

والاوساط الادبية التي تجاهلته في البدء ، والتي اعتقـــد بيراندللو ان تجاهلها كان بســبب تحكــم غابريال دانوننتزيو الاديب الفاشي بكل اهتماماتها ، وهو الحالم ببعث امجـــاد الامبراطورية الرومانية على يدي بينيتو موسوليني الذي كان يرى فيه احــد قياصــرة « الزمــن المتاخــر » (٢) ، هــذه

(1) « Storia della Letteratura Italiana » Societa Editrice Internazionale - Torino 1964.

(٢) المصدر السابق •

بلا منازع ، حينما اسس الكاتب القصصي ماسيمو بونتمبللي بالاشتراك مع أوريو فيرغاني وستيفانو بيراندللو ابن الكاتب صاحب الترجمة ، مسرحا خاصا بعرض مسرحياته ، وعهـد اليه بالادارة الفنية • وكانت الفرقة المسرحية برئاسة مارتـا آبا، الممثلة الشابة التي كانت افضل من ترجم اعمال بيراندللو على خشبة المسرح ، وكانت في السنوات الاخيرة من عمـر مسرح بيراندللو ، عصب هذا المسـرح وروحه • لكنها عام ١٩٢٨ انفصلت عنه وشكلت فرقة خاصة بها ، حملت علـى عاتقها تقديم اعمال هذا الكاتب المسرحية امام الجمهور •

تطلب الناجح العالمي الذي حظي به مسرح بيراندللو ، من المؤلف الترحال في العواصم الاوروبية والاميركية بشكل دائم وكانت تلك الحقبة من افضل سني حياته • وتوجت سعادتـه التي جاءته متأخرة ، عندما تسلم في استوكهولم عاصمـة السويد ، جائزة نوبل للادب ، في التاسع من شهر تشريـن الثاني عام ١٩٣٤ ، فكرسته هذه الجائزة العالمية الكبـرى واحدا من الكتاب الاكثر اصالة في عصرنا ، فكان الايطالـي الثالث الذي يحصل على هذه الجائزة بعد بينيديتو كروتشي احد ابرز واضعي علم الجمال ، وغراتسـيا ديليدا الكاتبـة الروائية المعروفة •

وقد مات هذا الكاتب العظيم في العاشر من شهر كانـون الاول عام ١٩٣٦ دون ان يكمل مسرحيته « عمالقـة الجبـل »

الاوساط عادت وانصفت هذا الاديب ذا النزعة الانسانيـــــة المناهضة للتشنج القومي وللقهر والتعصب العرقي ، وكل ما كنت تمثله الفاشية ٠

لقد اعلنت هذه الاوساط . وبلسان العديد عـن النقـــاد ، حكمها للتاريخ ، بصدد انجاز هذا الكتب العظيم ، وكان هـذا الحكم لصالحه ٠ ففي الدراسات التي وضعها هؤلاء النقـــاد عن ادب وحياة بيراندللو تشـمخ صورة هذا الانسان بنفس المقياس الذي قيست به صور دانتي اليغييـــري وبتراركـــا وليوباردي ، من عظام الشـوامخ في الادب الايطـالي ، على اعتبار ان مقارنته بمعاصريه من الكتاب تجافي الحقيقة ٠ فهو اعظمهم على الاطلاق ، ونوعية ادبه تقربه من اولئك الخالدين٠

لقد انصفه ف ٠ فيتوري نارديللي في كتابه « الرجل السر: حياة وصلبـان لويجي بيراندللو » وفيرديناندو بازيني فـي « بيراندللو في الفن والحيـاة » وغاسـباري جيوديتشي في « لويجي بيراندللو » وجيوسيبي انطونيو بورجيزي في « في الحياة وفي الكتاب ، حكماء الادب والثقافـــة المعاصـــرة » وفرانتشيسكو فلورا في « من الرومانسية الـــى المستقبليـــة » وادريانو تيليير في « اصوات العصر ، الصـورة الجانبيـة للادباء والفلاسفة المعاصرين » وجيوسيبي بانكراتسي فـــي « لويجي بيراندللو بين الكتاب الايطاليين التسعمائة » وسيلفيو داميكو في « ايديولوجية بيراندللو في الكوميديا » وبييتـــرو

غوبيتي في « الاوبرا الانتقادية » وفيرديناندو بازيني مرة اخرى في « لويجي بيراندللو كما يبدو لي » واتيليو موميليانو في « لويجي بيراندللو في انطباع قارىء معاصر » و ج· باتيستا انجيوليتي في « مع كتاب اوروبا » وكاميللو بيلليزي في « بيراندللو الاكبر والاصغر في الادب الايطالي في هذا القرن » وايتالو سيتشيليانو في « مسرح بيراندللو او المظاهر في التصنع » ومانليو لو فيكيو موستي في « اوبرا لويجي بيراندللو » وانطونيو دي بييترو في « لويجي بيراندللو » وجيوسيبي بيترونيو في « بيراندللو روائيا وازمات الواقعية » وليوناردو شياشيا في « بيراندللو والبيراندللوية » وفيليبو بوغليزي في « فن لويجي بيراندللو » ·

هذا ما صدر عنه من كتب · اما الدراسات والمقالات التي كتبها ادباء ونقاد معروفون في المجلات الادبية فأكثر من ان يحصرها المجال ، لكننا نذكر منها على سبيل الاستشهاد : جيوسيبي رافينيا « لويجي بيراندللو بين المعاصرين » (مقال في مجلة « كوادريفو » الصادرة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٤) وكورادو آلفارو « بيراند للو جائزة نوبل ١٩٣٤ » (مقال في مجلة « نوفا انتولوجيا » الصادرة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٤) وبنيامين كريميو « لويجي بيراندللو » (مقال في مجلة « لونوفيل ريفو فرانسيز » ١٩٣٧) وماسيمو بونتمبللي « بيراندللو ، ليوباردي ، دانوننتزيو » (مقال في « التقويم

الادبي) وريناتو سيموني « لويجي بيراندللو » (مقـال فـي مجلة « الاتحاد الفاشي » ومجلة « الاحتفـالات الصقلية ») وماريو آليكاتا « قصص بيراندللـو » (مقـال فـي مجلـة « بريماتو » في كانون الاول ١٩٤١) وماريو سانزوني « نقد وشاعرية لويجي بيراندللو » (مقال في مجلة «القديم والحديث» في كانون الثاني ١٩٤٥) وبينيديتو كروتشي « لويجي بيراندللو في ادب ايطاليا الجديدة » (مقال في مجلة « لاتيرزا » المجلد السادس ١٩٤٥) وارمينيو جانير « لويجي بيراندللو » (مقال في مجلة « نوفا ايطاليا » ١٩٤٨) ولويجي روسو « لويجـي بيراندللو في صـور ورسـوم قصصية » (مقـال في مجلـة « لاتيرزا ») وكارلو ساليناري « سـطور من العـالم المثالي لبيراندللو » (مقال في مجلـة « المجتمـع » حزيـران ١٩٤٥) ولويجي فيرانتي « لويجي بيراندللو » (مقال في مجلة «الاقارب» ١٩٥٨) ويكفيه فخرا ان مؤتمرا عالميا للدراسات البيراندللوية عقـد في فيرنتسـي عـام ١٩٦٧ ناقـش ادب هـذا الكـاتب العظيم وفكره ، وخلص الى القول بان هذا الاديب قدم شيئا جديدا للادب العالمي ، وقد ترك بصماته على الاداب المعاصرة في كل اللغات الحية ، حيث تأكدت المقولة بانه صاحب مذهب في الكتابة الفنية ادى الى تثوير المسـرح فاتحا امامـه آفاقا رحبة بلا حدود (١) ٠

واذا كان تشيخوف الذي تغلب على قصر عمره بالانتـاج المغزير ، قد ترك وراءه خمسمائة قصة قصيرة وعددا مـبـن

---

(١) المصدر السابق ٠

المسرحيات والروايات ، فان بيراندللو خلـف للمكتبـة العالمية خمسا وثلاثين قصة قصيرة وسبع روايات اضافة الى اربعين مسرحية وعدة مجموعات في النقد والشعر وكافة ضـــروب الفكر الابداعي ٠

ومع انه بدأ كتابة المسرح بعدما تجاوز الخمسين من عمره، فان الاثر الذي تركه في المســرح كان قويا ، ويكفي القول ان اعماله المسرحية قد ترجمت الى اربعين لغة ٠ ويمكننا ايجاز تركة بيراندللو الادبيـة بعبـارة وجيـزة : اذا كانت القصة الروسية كلها قد خرجت من معطف غـوغـول كمـا قـال دوستويفسكي ، فان المسرح الايطالي الحديث قد نبع من بين انامل بيراندللو كما يؤكد دومينيكو ماغري (١) ٠

---

(١) المصدر السابق ٠

بيراندللو الانسان والفيلسوف
مرآة العصر الحديث

يعبر بيراندللو في اعمــاله المتأخــرة عن التنــاقض القائم بين الحياة والصورة · فلا بد للحياة من التلاشي شرطـــا للنمو · والصورة الثابته لها ضرورية لوجودها · والتناقض يكون بين احتياجات الحياة والسبل المتبعة لاشباع النفـس البشرية بهذه الاحتياجات · والحياة عنده شكل من اشكــال التناقض الجدلي بين الحركة والصورة (١) ·

وقد بلغ التناقض لديه في اعماله هذه ، قريبا من اليأس والعجز عن ادراك ما يجول في اغوار النفس وما يكتنــف العالم من اسرار لا تزال مجهولة ·

كانت حياة الانسان الفكرية بالنسبة له ، مثابرة مستمرة ، وهذه المثابرة المستمرة لم تكن تفرض شكلا ثابتا ، بل تعاقب

---

(١) المصدر السابق ·

الاشـكال بتبدلها · ولكون الانسـان في جوهره نقيـا يطمح الى العيش بحرية مطلقة واستقلال كامل ، فان بيراندللو كان يضيء له الطريق بجلده على العطاء المتميز ، كيلا يتيـه في متاهات انعدام انتهاز الفرص وانعدام التحديد والقبـول والتقرير الاجتماعي ·

لقد انشـأ الحاجة الى التفرس في الموجودات والكائنـات وكان هذا الشكل في الادب الواقعي قد صار محددا على انه : الكل من البعض · لكنه يفسر هذا الشكل في اسلوب مختلـف حتى تأتي اللحظة التي لا يعود فيها الانسان هـو الكائـن الوحيد الذي لا يدري الشكل الذي خلقه بنفسه · لكننا نخبئه في مرآة الرأي لدى الآخرين الذين لايدرون كم هي غزيـرة الشخصيات المقصودة التي سبق للاخرين ان خلقوها وكانت طبعة اخرى عنهم (١) ·

الساحة الاساسية التي نبعت من وضع كهذا ، اختفت تحت مظهر مضاعفة الدراما التي يخلقها المؤلف وفيها قبول باستحالة العثور على شبه حل لمشكلات الحياة ، باستحالة الهروب من الواقع المعاش ·

كان بيراندللو بلا شـك ، قد وضـع العـالم الحديث امام

---

(١) المصدر السابق ·

انعكاس قسوته · ازال القناع عنه ، وغالى في التجهم امـــام الهه الغاضب · لكن ثمة عنصرا آخر على كل حال ، كــــان متوافرا في فلسفة بيراندللو الفكرية ، او قل ، المدرسة التي ارسى دعائمها في الادب ، وخصوصا في المســرح · فالتحرر لم يكن شيئا فاعلا فيه ، رغم ثورته على القوالب القديمــة · ورغم كل ذلك ، فانه كان يشد القاريء والمشاهد اليه حتــى عندما يقذفهما ، في هاوية الافكار المضطربة المتناقضة ، حيث يفقد الكائن الانساني فيها نفسه ، فيما هو يبحث عن طريـــق ليسلكها في دروب الحياة ·

كان اتجاه بيراندللو في مواجهة تلك الانسانية المضطربة التي لم تلق مرساتها ، في القدرة على تحمل وطأة الهه ، مـــع ضميره اللامع في ذهنه اليقظ ، وحدة الشر الخاص ، اضافة الى سلوكه الفظ والعميق المختلط بالوداعة على الغالب ، كل ذلك كان مخبوءا في حنايا نفس مرهفة ويمكن العثور عليه في مكان ما من قصصه ورواياته ومسرحياته ، فكانت الصفحات الذائبة تناسقا ، تعالج التناقضات بشكل مكثف (١) ·

وكان يعود من تأملاته بشعور هو مزيج من الحيوية والمرارة والثورة والقرف واليأس · وقد ظهر هذا جليا في اعمالـــه ذات الطابع المأساوي رغم السخرية العاصفة بين السطــور المصاغة بلغة رفيعة مغلفة بنكهة الحزن الجــاد · لقد كانت ابتسامته زاخرة بالعذاب ، او على الاقل بالقلق · وكانت هذه

(١) المصدر السابق ·

هي بالضبط ، جذور مسرحه الخاص !

كان الوضع غير المحدد والكثيف لتلك المخيلة الخصبة عند بيراندللو ، تتفتق عن روائع رغم تخضبها بشـيء غير قليل من السفسطة المحمومة التي حالت بينه وبين الوصول الـى حلول للمشاكل التي كان ينوء بها العالم العابث • كما كـان الدفاع البيراندللوي نادرا ما يتحمل التمثـل الجليدي للفـن من خلال حياة عقلية قاسية ، فجاءت شخصياته تحتج عـلى قيودها •

بيراندللو قارىء الادب الالماني الجيد ، اسـتوعب وصية توماس مان التي تقول بالبحث عن الحقيقة العلمية والحقيقة الفنية ، والاعلان عنهما • هذه الوصية صيغت واسـتمع اليها لاول مرة في عصر الاغريق • وفي المرة الثانية صيغت علـى نحو اشد حدة وبطريقة آمرة ناهية في عصر بدايات العلم • لكنها صيغت على نحو يفوق ذلك حدة والحاحا واقلاقـا في عصرنا • (١)

في النصوص التي سنقدمها لاعمـال هذا الاديـب الكبير ، سنتعرف الى بعض من عبقرية هذا العملاق الذي كان ابـرز

---

(١) لودفيغ بينسفانغر « ذكريات صداقة » محاضرة عن فرويـد ، عرضها خلدون الشمعة في دراسته « نحو الانثروبولوجيا الفلسفية » مجلة « الفكر العربي » العدد الثالث •

الكتاب الذين وظفوا السخرية والفكاهة في العمل الابداعي ·
وهو في سلسلة اعماله المتميزة ، حيث المأساة المؤثرةتظهـر
في التناقضات بين الرواية والواقع يكشف لاعيننا المندهشة ،
ان لا شيء عبثيا ولا منطقيا في هذه الحياة ، اكثر من الحياة
ذاتها · (١)

لقد نظر بيراندللو الى الحياة من الداخل ، حيث فاجأنا بكل
تناقضاتها وعبثيتها ، فاستحق ان يكون أدبه مرآة العصـر
الحديث بكل ما فيه من عقد وتناقض وقلق (٢) ·

---

(١) بوريس باسترناك « دكتور جيفاكو » (مترجم) بيروت ·
(2) Domenico Magri « Storia della Letteratura Italiana », Società Editrice Internazionale - Torino 1964.

اثر البيئة في ادب بيراندللو

الاديب ، اي اديب ، وليد بيئته • فالادب لا ينمو من خواء • ولا يعقل ان يكون نتاج اي اديب قد نبع في صحـــراء مـــن الجدب • فالكاتب عندما يكتب رواية او قصـــة قصيـــرة او مسرحية ، مهما كانت ثقافته لصيقة بمناهل غريبة عن بيئته ، لا بد وان يترك بصمات بيئته على نتاجه هذا •

في ادب تولستوي ودوستويفسكي وتشـيخوف ومكسـيم غوركي ، وكل كتاب الروس ، رغم شمولية النظرة الانسانية لهذا الادب ، نجد البيئة الروسية بكل معالمها القاسية مرسومة بجلاء على الاشـياء والناس ، فهي اكتنـاه لجمـود الشـرق وقسوة تقاليده ونظرته الى الكائنات واستمرار انجرافه فـي تيار الميتافيزيقيا امام فتوحات الذهن الغربي •

وجاك لندن وارسكين كالدوين ومعظم الكتاب الاميركيين حتى همنغواي « العالمي » الذي كان يكتب لجميع البشر وليس للاميركيين فقط ، كانت البيئة هي «البطل الحقيقي» لمؤلفاتهم. اننا لا نلمس في هذا الادب المكتوب بلغة انكليزية ، الروح الانكلوسكسونية ، انما نطالع معالم البيئة الاميركية الجديدة ذات المؤثرات الهندية القديمة الممتزجة بخلاصات الفكر الفردي التي هي بدورها مزيج من افكار الطهريين (البيوريتان) القدامى وعصارة التقدم التكنولوجي .

فكل أدب هو نتاج البيئة التي نما منها صاحبها . وهكذا نجد بيراندللو ابن جزيرة صقلية التي تعاقب عليها الاغريق والقرطاجيون والرومان ثم العرب وبعدهم النورمان قبل ان تصبح ايطالية كاملة ، مدينا في فتوحاته الذهنية لكل الحضارات التي تركت بصماتها على الجزيرة لاتزال في بعض مظاهرها فاعلة فيها .

وموطنه جيرجينتي ، اي اغريجنتو القديمة التي كانت اول مستعمرة اقامها الاغريق في « اليونان الكبرى » (Magna Graccia.) اي شبه الجزيرة الايطالية وجزيرة صقلية ، دمغت ميسمها البيئوي على فكر هذا الكاتب في كافة اعماله . اننا نجد بيراندللو اسير العادات والتقاليد التي ورثها اباؤه واجداده عن سكان الجزيرة الاوائل ، فجاء ادبه ذا ملامح

اقربما تكون الى الملامح الشرقية ، او قل اليونانية والعربية منها الى الاوروبية ٠

قبل ان نتكلم عن هذه الملامح التي جاءت مميزة في أدب بيراندللو ، سنتكلم عن هذه البيئة ومدى تأثيرها في تكوين شخصيته الفكرية ٠

الاثر الهيلليني

كانت اغريجنتو وصقلية معها ، من منجزات الحضارة اليونانية ٠ واذا توغلنا في التاريخ القديم ، يتبين لنا ان هذا الاثر اليوناني يعود الى ما قبل عام ٧٥٠ قبل الميلاد ، حينما تمكن اليونانيون من تأسيس عدد كبير من المستعمرات انتشرت في انحاء عديدة على سواحل البحر المتوسط ، خاصة في صقلية ، وكانت ابرزها سيراقوصة ، ومنها اغريجنتوم التي كان لها دور في الحروب البونية الاولى والثانية والثالثة بين روما وقرطاجة بعد زوال السيطرة اليونانية عن سواحل ايطاليا الغربية والجنوبية مثل كوماي وسيباريس وتارنتوم ٠ ولئن اقتصرت السيطرة اليونانية الكاملة على الجنوب والجنوب الغربي من ايطاليا وعلى قسم كبير من صقلية ، فان الاثر الحضاري اليوناني على هذه المناطق كان على شيء كبير من الاهمية ، وليس ادل على ذلك من ان جنوبي ايطاليا

حمل اسم « بلاد اليونان الكبرى » وهو الاسم الذي كان يراد
به بالتحديد صقلية (١) ٠

وليس غريبا ان يكون الكاتب المسرحي الصقلي بيراندللو
قد تأثر بالادب اليوناني خصوصا المسرح الذي كان ابرز
منجزات الحضارة اليونانية ٠ وهو كقارىء جيد لاسخيلوس
واريستوفان ، نقل الى الادب الايطالي حيوية المسرح وابعاده
الاجتماعية ٠ فالتراجيديا اليونانية التي هي احدى الوظائف
المتميزة للفكر الانساني الذي بدأ مع اثينا وتكيف في شكله
ومضمونه مع تطور البيئة الاجتماعية التي ينتسب اليها (٢) ،
وجدت عند بيراندللو شغفا عظيما ، ترجمه اعمالا بارزة ،
جسد فيها السؤال الكبير الذي كان يطرحه على نفسه : كم
ترك تطور المجتمع القبلي الى دولة المدينة ثم الى المجتمع
الحديث ، من عادات ومفاهيم تحولت بدورها الى قيود وعقد
نفسية نعاني نحن منها في هذا العصر ؟

كانت وجهة نظر بيراندللو ازاء التراث الضخم الذي قرأه

---

(١) عبد اللطيف احمد علي « التاريخ الروماني » مطبعة
كريدية ـ بيروت ٠

(٢) جورج تومسن « اسخيلوس واثينا » دراسة في
الاصول الاجتماعية للدراما » ، ترجمة د ٠ صالح جواد
الكاظم ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ بغداد ٠

واستوعبه وحاول تطعيم الحياة الفكرية الايطالية ببعض نماذجه المعادة صياغتها بقالب جديد ، تؤكد ان مهمته في الحياة لم تكن فقط التعبير عن صفات معروفة لدى ابناء مدينته التي بناها الاغريق ، وانما الاستجابة الفنية والمتنوعة التي ابداها في مضمار كشف العقد والعادات المضرة التي يعاني منها المجتمع المعاصر كما حددته الظروف الخاصة ببيئته المادية والتاريخية ٠

كان هذا الكاتب الدقيق الملاحظة والذي يجوس عميقا في اعماق النفس البشرية ليكتشف قوانين جديدة تحدد العلاقات الانسانية بين الناس وما يطغي عليها من صدأ العادات والتقاليد ، يستخدم بعد افقه وعمقه الفكري وقراءاته الكثيفة ليكتشف الناس من خلال ارآئهم في الحق والباطل ، الخير والشر ، الدين والفلسفة ، الفن والنزعات ، فيصل احيانا الى الحقيقة واحيانا كثيرة يجانبها ، حتى انه في الخطأ الذي تقع فيه احكامه ، كان يعالج واقعا موضوعيا اوجده الناس وباتوا هم مادته الاساسية ٠

هذه النظرة ، الم تكن وليدة التراث اليوناني الضخم الذي اورثه حب الاستطلاع والبحث عن تفسير صادق للاشياء ؟

كان معاصروه يقولون انه لا يمكن ان تكون وجهة نظرنا موضوعية كليا ، في حين كان الاخرون الذين يدعون الحيدة

ازاء التناقضات القائمة في المجتمع ، يدركون انهم ماكانوا يقولون الا نصف الحقيقة ، فالانسان المستنير لا يستطيع ان يكون بلا موقف · فما هو موقف بيراندللو ؟

مؤلفات بيراندللو تعكس الرغبة في التغيير المستمر ، من اجل الوصول الى مشارف تؤدي به الى الاحساس بالحقيقة · وكان هذا ترفا فكريا لا يدعي بلوغه ، انما يحاول ذلك كما كان يقول لصديقه لويجي كابوانا · وهدفه من ذلك الكشف عن القوانين التي تنسق افعال الانسان ضمن مجتمعه ·

هذا المنحى في التفكير ، نهج اغريقي · كان بيراندللو يعتقد ان استغلال الفن من اجل ترقية المجتمع وتحسين عناصره اخلاقيا ، يفرض على المفكر ان يتحرر من الطرق التقليدية ، لان لكل عصر مفاهيمه ، واساليب معالجته للمشكلات النابعة من صميم احتياجاته · فهل وفق في هذا الفن الذي يصفه هو نفسه بانه نتاج تطور اجتماعي معمد بالمعطيات الذهنية ؟

بعض النقاد الايطاليين يدلون برأي مناهض لهذا الاتجاه فيؤكدون ان ابا المسرح الطليعي الحديث الذي نشأ وترعرع في بيئة تنمو فيها التقاليد القديمة لم يستطع التحرر من اغلالها كليا ·

ويضيفون على ذلك ، تأثر الكاتب بما خلفتـــه الحضــارة العربية على هذه الجزيرة ، المنتصبة امام البحر الجنوبـــي المشرف على الافق الافريقي · فالى اي مدى يمكن ان نطلــق على هذا الرأي صفة الصحة ؟

والاثر العربي !

تعرضت جزيرة صقلية لموجات متفرقة من امواج الفتــح العربي منذ استقرار العرب في شمالي افريقيا · وكانت الموجة الاولى سنة ٦٥٦ ميلادية حيث غزاها اسطول اسلامي انطلق من ساحل الشام بعد انتصار المسلمين فــي موقعـــة « ذات الصواري » البحرية · لكن فتح الجزيرة تم في عهد دولـــة الاغالبة ، وبدأ في عهد الاميــر زيادة الله بن ابراهيـم بن الاغلب (٢٠١ ــ ٢٢٣ هجرية) حيث ارسل الى صقلية جيشا كبيرا بقيادة اسد بن الفرات قاضي القيروان ، فكان فتـــح سيراقوصة آخر معاقلها بعد باليرمو سنة ٢٧٨ ميلادية ، فقامت في صقلية دولة اسلامية عربية لبثت زهاء قرنين من الزمان ، الى ان استعادها روجر النورماندي سنة ١٠٧٢ ميلادية · (١)

هاتان المائتان من السنين ، ألم تتركا في الجزيرة ، وفــي اغريجنتو بالذات ، اثرا بينا في تكوين شخصية بيراندللو ؟

(١) د· عمر عبد السلام تدمري « تاريخ العرب في الاندلس والمغرب » بيروت ·

بالطبع ، اثرت هذه الحقبة اليسيرة من الزمان على الفنان ، فكان فيه بالاضافة الى الاثر الاغريقي الذي اتجه به الى المسرح ، اثر عربي اتجه به الى القصة . واذا كان دانتي اليغييري قبله بقرون ، قد استوحى ملحمته « الكوميديا الالهية »من « رسالة الغفران » لابي العلاء المعري ، فان بوكاتشيو في « الديكاميرون » قد اقتبس روح « الف ليلة وليلة » التي كانت شائعة كثيرا لا في صقلية وحسب ، وانما في كل انحاء ايطاليا ، وعن طريقها وضعت اللبنة الاولى لما يعرف اليوم بـ « فن القصة » بعد ان كانت القصة عبارة عن « حدوته » وهو بالضبط ما تعنيه الكلمة الاجنبية « فاشيتا » (Facetia) (١)

ولو اخذنا مسرحية « الجرة » (La Giara) ولها نفس المدلول في العربية ، حيث انها من جملة الكلمات والمشتقات التي دخلت على اللغة الايطالية نتيجة للتفاعل بين سكان الجزيرة والعرب عندما كان هؤلاء يحكمون الجزيرة ، لادركنا مدى التأثير العربي في هذا الكاتب .

ان هذه المسرحية ذات الفصل الواحد تتناول حياة شريحة كبرى من المجتمع ، هي طبقة الفلاحين ، فتصور حياتهم وعاداتهم القديمة وانسحاقهم امام الاوهام ، وتعالج علاقاتهم الاجتماعية بشيء من الصدق ، فتتراءى لنا صلة الوصل بين هؤلاء الفلاحين والفلاحين العرب ، وكلا الطبقتان

---

(١) د. رشاد رشدي « فن القصة » مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة .

وليدتا حضارة ذات جذور واحدة • وكأن ما تحدثت عنه هذه المسرحية يحدث نظيره في اي قرية عربية ، نفس الشخصيات المتناقضة : الانسان الطيب يقابله الاخر اللئيم ، والرجل الساذج الغبي نقيض للرجل المحتال ، والدعي الجلف ازاء الانسان المتواضع البسيط ، والرجل الثري البخيل مقابل الانسان الفقير المحب للحياة والمرح •

شخصيات بيراندللو المسرحية المسحوقة التي هي على الغالب تعاني هاجس المحبة والجنس والحب والكراهية والبحث عن الاستقرار والسعي الى تحقيق الثروة ، نماذج بينة من انماط الحياة العربية ، ولهذا كانت قراءة اعماله القصصية والمسرحية توحي للقارىء الاوروبي بانه يلج عالما غريبا عنه • والقارىء او المشاهد الاوروبي الذي يقرأ ابسن ويستوعبه كما يقرأ ويستوعب بيكيت وبريخت ويونسكو ، لم يفهم بيراندللو في البداية ، لانه كما قال بعض النقاد الايطاليين ، جاء من عالم اخر مختلف (١) • فالفضائح النسائية التي رأينا نماذج منها في مسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » والتآمر العائلي كما شاهدنا بعضا منه في مسرحية « حسب تقديرك » كل ذلك « وقائع » ينوء بها مجتمعنا العربي للاسف ، كما ينوء بها المجتمع الصقلي ، لانها عصارة ذلك التفاعل التاريخي الواحد ، على الاقل ، لفترة طويلة من التاريخ المشترك •

(1) Domenico Magri « Storia della Letteratura Italiana », Società Editrice Internazionale - Torino 1964.

بيراندللو والقصة
خروج على الرومانسية من اجل الواقعية

حقيبة بيراندللو القصصية الملأى بالاعمال الجيدة وابرزها روايته « المرحوم ماتيا باسكال » ومجموعة قصصه « قصة في السنة » جعلت منه واحدا من عمالقة الادب القصصي في ايطاليا . وهو ، اذا لم يبلغ في القصة الشأو الذي بلغه في المسرح ، فان اثره في هذا الحقل الادبي كان بارزا ، اذ انشأ مدرسة يمكن ان ندعوها المدرسة الواقعية في ادب القصة الايطالي .

قبله كان الادب الايطالي مأخوذا بالانماط الادبية الاجنبية المستوردة . فمنذ القدم ، في القرن الثالث عشر بالضبط ، قام بوكاتشيو بوضع حجر الاساس لادب القصة في العالم الغربي ، بعدما استقى هذا الفن من التراث العربي ، خصوصا من « الف ليلة وليلة » فجاءت رائعته « الديكاميرون » من افرازات ذلك السفر القصصي الشرقي الخالد . وبعد رائد

القصة هذا ، جاء ادب نيكولو ماكيافيللي في قصته « كبير الشياطين بيلفيغور » وماتيو باندللو في اقصوصته « الراهب والغانية » منسلخا عن البيئة الايطالية رغم اسماء الاشخاص والاماكن الايطالية في قصصهم • والذي يقرأ « المخادعة المخدوعة » لبوكاتشيو لا يدري انه يقرأ أدبا ايطاليا لولا تذكير الكاتب له بأن القصة حدثت في باليرمو وان البطل من توسكانا • وكذلك ماتيو باندللو الذي تبرز من قصته روح مشرقية فيها الكثير من اجواء « الف ليلة وليلة » حيث تختلط الدعابة بالنسك والصلاة بالمجون •

وحتى في مطلع القرن العشرين ، مع جيوفاني فيرغا صاحب قصة « فروسية ريفية » وانطونيو فوغاتسارو مؤلف قصة « معبودون غير مكتملين » وريناتو فوتشيني في « النصب التذكاري » كانت القصة الايطالية ذات طابع فرنسي مكتوب بلغة ايطالية ، والقلم السائل فيها اقرب ما يكون الى قلم فلوبير في الرواية وغي دو موباسان في الاقصوصة •

كانت هذه القصص عابقة بالاجواء الرومانسية • ففي سرد فوغاتسارو عن بحيرة لوغانو والحب البريء بين الكاتب بلسان بطل القصة والسائحة الاميركية ، نفس من لامارتين وبرناردين دي سان بيير اكثر من نفس ايطالي • كانت الرومانسية فواحة في هذه القصص ، مع ان عصر الرومانسية كان قد انقضى منذ زمن •

وتتفشى النزعة المأساوية في الادب القصصي الايطالي بأسلوب شاعري يعتمد الكلمة الرقيقة التي تستدر الدموع من مآقي القارىء . ففي قصص ادموندو داميتشيس ، ومنها « المراقب اللومباردي الصغير » الذي صرعه النمساويون عندما جند نفسه لخدمة جيش بلاده الايطالية ، تفيض السيولة الشاعرية في مأتم الغلام ، وهي نفس السيولة التي تفيض من قلم غابريال دانوننتزيو في قصة « معجن الخبز » حيث ينزع القناع عن قسوة الانسان البخيل حتى ازاء اخيه الاصم المعاق .. وكذلك قصة غراتسيا ديليدا « سيدة وخدم » كانت قسوة الاجير الشاب هي الانعكاس المناقض لرقة الاجير الكهل وطيبته ووفائه لسيدته ..

لكن رغم كل هذه الدموع والنوازع البشرية المتناقضة ، كان الادب الايطالي القصصي غريبا عن بيئته .. حتى لدى المتأخرين من الكتاب امثال ماسيمو بونتمبللي وجيوفاني فيرغا وبيتيغريللي واماليا غوليليمينيتي وكورتسيو مالابارتي . ففي قصص مثل « مغامرات في البر والبحر » لبونتمبللي نلمس مدى تأثر هذا الكاتب بجول فيرن في قصصه الخارقة . في حين ان قصة « دون ان تقول شيئا » لموريتي تنضح بأسلوب بكائي نبغ فيه ميترلينك وهوغو وستيفان زفايج ، فيما كانت قصة « القدر » لغوليليمينيتي ايجازا لشارلوت برونتي في « جين اير » و « فيبو » الكلب بطل قصة مالابارتي نمطا لاتينيا لقصة تشيخوف عن الكلبة « كاشتانكا » !

وحده بيراندللو ، عبر عن البيئة الايطالية في أدبه بكـــل صدق وحرارة • فهو لم ينتم الى الرومانسية البائدة ، ولم يتأثر بالقصة الفرنسية او الانكليزية او الالمانية رغم اطلاعـه الواسع على الاداب الاوروبية ، قديمها وحديثها •

كان مترجما اصيلا لبيئته الصقلية بكل ما فيها من خشونة وطرافة • وكانت سخريته ذات المضمون الانتقادي اللاذع تؤكد اصالته الايطالية ، فجاء أدبه معاشا بلا ادنى تكلف ، ولـــم يكن اسلوبه التهكمي هـــو المعيـــار لهـــذا الادب المعاش • ان جيوفاني غواريسكي فاقه في الكتابة الساخرة ، لكن بيراندللو ينتزع السخرية من مرارة الانسان في واقعه البائس ، وليس من بســمة المترفين كما عند غواريســكي • وهل هناك وجه للمقارنة بين اقصوصة « قديد » للاخير مثلا ، رغم الجو العابق بالمرح الذي يسودها ، وبين « المرحوم » للاول ، والتي يحلل فيها النفسية البشرية كاشفا ابعادها ، سابرا اغوارها ، فاذا السخرية مرآة تعكس الصورة بشكل مغاير ، بحيث تطفو على السطح ، الاعماق الانسانية التي ترزح بالعقـــد النفسيـــة والمعاناة المريرة •

في قصة « الحرب » التي تصور الموقف المتناقض لرجل مضى ابنه الجندي الى الجبهة ولقي حتفه ، يكابر في البدء بالفخر الذي يسببه اشتراك ابنه فـــي القتـــال مـــن اجـــل وطنه ثـم الاستشهاد في سبيله •• ثم ينفجر في البكاء عندما يـــدرك اخيرا حينما سقط قناع المكابرة عنه ، ان ابنه الذي مضى الى

الحرب وقتل ، لن يعود ثانية اليه !

في هذه القصة التي بلغ فيها بيراندللو الكمال التقني (١) فلم يبالغ في التضليل ذي المسحة الوطنية الـــذي يصـــور بسذاجة « فرح » الانسان « الوطني » عندما يقضي ابنه فـــي الحرب من اجل الواجب دفاعا عن وطنه ، في هذه القصة تكمن عينة من عبقرية هذا الكاتب العظيم الذي آلى على نفســـه ان يفقأ الدمل الناجمة عن تضليل النفس والايغال في الوهم ، فأكد ان الادب هوما يعيشه الانسان بكل انفعالاته وضعفه وقسوته . قد لا يكون هو الطبيعة بحد ذاتها ، لكنـــه محاكـــاة للطبيعــة في سموها وانحطاطها ، في كل بهي جميل فيها ، وفي كل قذر قبيح فيها .

حينما كان فوغاتسارو يستعرض معلوماته الادبية بلسان بطل احدى قصصه فوق ســطح بحيرة لوغانو ، مســـتعيدا بعض اشعار لورد بايرون (٢) عن هذه البحيرة ، امام محبوبته الاميركية ، كان بيراندللو يحاول تفسير العلاقات الاجتماعيــة بين الناس ، كاشفا التناقض بين الكائنات بصيغة لم يسبقـــه اليها أحد ، فكان بحق ، الكاتب الذي ادخل طعم تراب الارض

---

(١) د. رشـــاد رشـــدي « فن القصة القصيرة » مكتبـة الانجلـو المصرية ـ القاهرة .

(2) Edgard Cavalheiro « Maravilhas do Conto Italiano » Editora Cultrix - Sào Paulo 1957.

الصقلية الى الكلمة الايطالية الادبية · ومعه ، لم يعد الادب الايطالي نمطا عن الادب الفرنسي او الانكليزي او الالماني ، ولم يعد اسلوب استدرار الدموع قائما ، فزال به عهد الرومانسية مع زوال تقليد غي دي موباسان وبرناردين دي سان بيير وحتى جول فيرن !

ادريانو تيليير ، وهو افضل النقاد الذين عاصروا بيراندللو وتمكنوا من فهم أدبه القصصي ، رأى فيه فنانا جديدا قادرا على ترجمة الحياة في شفافية التعبير المتقدم · وقد حملت قصصه الملامح الاقليمية بعد ان كانت قد اهملت بعد فيرغا · (١)

لقد ثار هذا الكاتب على القوالب الفنية الشائعة في زمنه لانها كانت ترسم للقصة اشكالا تقيدها فيها · وابى ان يجعل الفلسفة تنساب من بين افواه ابطال قصصه ، حيث جعلهم طبيعيين جدا · اما التشاؤم الغالب على شخصياته ، فلم يكن دخيلا عليها او تدخلا من الكاتب مباشرة في حركة هذه الشخصيات ، انما كانت تفرضه طبيعة « الحياة » في هذه

---

(1) Corrado Simioni « Luigi Pirandello » Arnoldo Mondadroi Editore - Milano 1970.

المقصص « الواقعية » ..

ويقول لويجي روسو : كان المسرح عصارة حياة هذا الفنان الروحية ، وبه عبر من خضم اليأس الى حافة الاستقرار ، لكنه في قصصه ايضا لم يأت بما كان شائعا لدى المدارس الادبية في عصره ، وكان هذا هو الاشكال الاول الذي يقع فيه ذوو التعبير الفني . انه بصراحة ، خلق نمطا من الكتابة القصصية خالية من الحشو البلاغي خلوها من سذاجة التعبير والحبكة الفنية (١) والمتوفرة بشكل صارخ لدى جماعة الرومانسية .

اما ماسيمو بونتمبللي صديقه الكاتب الروائي ، وهو من الذين كتبوا سيرة حياته بصدق وشمول ورشحوا ادبه ، فقد اعلن ان اسلوب بيراندللو في القصة كان بعيدا عن الصناعة اللفظية ، وعباراته بسيطة ، وجمله مقتضبة (٢) . كانت له لغته الخاصة ، وهي قليلة العناصر الجدلية الشائعة في اللغة الايطالية الدارجة ، لكنه طعم هذه اللغة بقالب تعبيري يعتمد على الحوار الداخلي النابض بالمشاعر الحية المتحركة داخل اللغة المحكية او المكتوبة .

كان بيراندللو مثل كل الكتاب الكبار في زماننا ، يخاطب القاريء كأخ ، ويشاركه في همومه كيلا يبقى الكاتب انسانا

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

وحيدا ، لان تفرد الكاتب وعزلته عن الاخرين ، يجعلانه غريبا عن المجتمع ، عن بيئته ، فيفقد قدرته على التعبير عن معاناتهم وهمومهم • اي ، يفقد التعامل مع شخصياته بصدق ، فلا يعود ادبه واقعيا • وعلى هذا ، لم يسقط بيراندللو في بؤرة الاسفاف او الاجترار ، ومواضيعه التي عالجها في اعمالــــه الروائية ، منذ « المرحوم ماتيا باسكال » الى «الكهول والشبان» كانت مختلفة عن بعضها البعض ، وكل منها ينبض بالحيــاة والحرارة رغم جليدية الواقع ورتابته •

وفي النص الذي سنقدمه الان كنموذج لاعمال هذا الاديب القصصية ، سنتعرف اكثر الى بعض من عبقرية هذا الكاتب الواقعي الذي دق المسامير في تابوت القصة الرومانسية •

المرحوم

نموذج من القصة عند بيراندللو

سمع خطيبته تقول له في اليوم الاول لاعلان خطوبتهما : اسمي في الواقع ليس لينا · انه كارولينا · لكن المرحوم كان يدعوني لينا ، فصرت اعرف به ·

« المرحوم » كان زوجها السابق المتوفي · واشارت الخطيبة الى صورته المعلقة على الجدار · كان هناك يبتسم وهو يرفع يده محييا · كانت الصورة كبيرة ، ثمينة ، تنتصب فوق الاريكة التي يجلس الخطيب عليها · وكان من عادة الخطيب ان يـــرد على تحية صاحب الصورة المعلقة على الجدار بانحناءة عفوية من رأسه ·

انتزاع تلك الصورة من بهو المنزل امر لم يخطــر ببـــال الارملة · كانت صورة صاحب المنزل ، والبيت بيته · لقد كان

مهندسا وهو الذي شاده وفرشه بشكل انيق مكلف ، قبل ان يتركه لها مع املاكه الاخرى ٠

وواصلت لينا حديثها دون ان تنتبه الى الاضطراب البادي على ملامح خطيبها :

ـ لم اكن احب ان اغير اسمي ، لكنه ـ اي المرحوم ـ قال : ما رأيك لو دعوتك بـ « كارا (١) ٠٠ لينا » بدلا من كارولينا ؟ انها تسمية متشابهة ، لكنها اجمل ٠٠ فما رأيك ؟

قال الخطيب ، ويدعى برتولينو ، وكأن المرحوم هو الذي يطلب منه ابداء الرأي :

ـ رائع !

اجابت وهي تبتسم :

ـ اذن ، كارا ٠٠ لينا ٠٠ مفهوم ؟

اجابها برتولينو باضطراب وخجل معتقدا ان الزوج المتوفي يطل برأسه عليهما من الجدار ضاحكا محييا :

ـ مفهوم !

---

(١) كلمة (Cara) تعني « عزيزة » اي « العزيزة لينا » ٠

بعد شهور ثلاثة ، غادر برتولينو وزوجته الى روما لقضاء شهر العسل وقد صحبهما الى المحطة بعض الاقارب والاصحاب • ومن بين هؤلاء السيدة اورتنسيا صديقة العريسين الحميمة ، فقالت لزوجها وهي تشير الى برتولينو :

– مسكين هذا الولد • لقد زوجوه من رجل !

ولم تكن السيدة اورتنسيا تعني ان لينا امرأة مسترجلة • فقد كانت هذه امرأة ذات انوثة جياشة • لكنها اذا قورنت ببرتولينو ، فانها اكثر منه خبرة بالحياة • اما هو فكان فتى اشقر ، يدل مظهره على انه طفل مدلل • وكانت صلعته تبدو كأنها غير حقيقية ، كما لو انه قص شعر رأسه وبدا اقرع ، كي يزيل عنه مظهر الطفولة الذي يظهره ذرا • لكن مع كل هذا ، بقي طفوليا في مظهره •

– مسكين برتولينو •

فقال زوجها العجوز في صوت أخن ، متذكرا انه صاحب اليد الطولى في اتمام هذا الزواج ، ولا يحب ان يسمع ما يؤكد خطأه :

– لماذا هو مسكين ؟ انه ليس ساذجا ، فهو رجل له مكانته في ميدان الكيمياء •

– انه ممتاز !

ثم أردف :

ـ انه كيميائي قدير • ولو استطاع ان ينشـــر ابحاثـــه ودراساته العميقة الضالعة في العلم والتي تفرغ لها مذ كان يافعا ، لفاز ، ربما ، في اول مسابقة تجريها الجامعة للدولة بمنصب استاذ • ولا بد أن يصبح ذات يوم عالما • وسيكون الان زوجا مثاليا • انه ولج الحياة الزوجية طاهرا محتفظا بعذريته ••

قاطعته الزوجة وكأنما اتاحت لها فرصة التحدث عن عذريته، مواصلة سخريتها من هذا الزواج :

ـ ومن اجل هذا •

في الحقيقة ، كانت تضحك قبل ان يتم هذا الزواج ، كلمـا سمعت الاقارب يقترحون على والدته تزويجه •• وكان هــذا الضحك يثير حفيظة زوجها الذي كان يصر على تزويجه • وكان يقول لها بحنق :

ـ لا بد من تزويجه •

وكانت تتوقف عن الضحك وتزعق فيه :

ـ زوجوه يا اعزائي ، زوجوه ، انا اضحك مما اقراه •

وكانت في تلك الاوقات تقرأ قصة فرنسية لوالدة العريس العجوز ، وقد ظلت لستة اشهر وهي لصيقة مقعدها نتيجة شلل اصيبت به فيما كان زوجها يلعب الشطرنج مع عم برتولينو ٠

ما ابهج تلك الليالي ! كان برتولينو يعتزل الناس ويقبع في الحجرة التي يجري فيها تجاربه ٠ وكانت والدته تتظاهر بالاصغاء الى القراءة دون ان تفهم جملة واحدة ، وكان العجوزان المنهمكان باللعب يرددان :

– يجب تزويج برتولينو حتى ندخل شيئا من الفرح الى هذا المنزل ٠

وهذا هو الان ! يا للمسكين ! لقد زوجوه حقا ٠ لكن يا لها من مصيبة !

كانت اورتنسيا تفكر في الزوجين المسافرين وتضحك كلما تصورت لينا وهي تختلي بذلك الشاب الاقرع الساذج ذي القلب الطاهر ، كما يصفه زوجها ٠ من المضحك ان تختلي به لينا التي عاشرت محبوبها المهندس اربع سنوات ، وكان خبيرا بالنساء ، مرحا ونشيطا ، من يدري ، ربما لاحظت في تلك الساعة الفرق بين الاثنين ٠

وقبل ان يتحرك القطار ، قال عم برتولينو للينا :

– اوصيك به ٠ ارشديه انت !

ويضيفون على ذلك ، تأثر الكاتب بما خلفتــه الحضــارة العربية على هذه الجزيرة ، المنتصبة امام البحر الجنوبــي المشرف على الافق الافريقي • فالى اي مدى يمكن ان نطلــق على هذا الرأي صفة الصحة ؟

والاثر العربي !

تعرضت جزيرة صقلية لموجات متفرقة من امواج الفتــح العربي منذ استقرار العرب في شمالي افريقيا • وكانت الموجة الاولى سنة ٦٥٦ ميلادية حيث غزاها اسطول اسلامي انطلق من ساحل الشام بعد انتصار المسلمين فــي موقعـــة « ذات الصواري » البحرية • لكن فتح الجزيرة تم في عهد دولـــة الاغالبة ، وبدأ في عهد الاميــر زيادة الله بن ابراهيــم بن الاغلب (٢٠١ ـ ٢٢٣ هجرية) حيث ارسل الى صقلية جيشا كبيرا بقيادة اسد بن الفرات قاضي القيروان ، فكان فتـــح سيراقوصة آخر معاقلها بعد باليرمو سنة ٢٧٨ ميلادية ، فقامت في صقلية دولة اسلامية عربية لبثت زهاء قرنين من الزمان ، الى ان استعادها روجر النورماندي سنة ١٠٧٢ ميلادية • (١)

هاتان المائتان من السنين ، ألم تتركا في الجزيرة ، وفــي اغريجنتو بالذات ، اثرا بينا في تكوين شخصية بيراندللو ؟

(١) د• عمر عبد السلام تدمري « تاريخ العرب في الاندلس والمغرب » بيروت •

بالطبع ، اثرت هذه الحقبة اليسيرة من الزمان على الفنان ، فكان فيه بالاضافة الى الاثر الاغريقي الذي اتجه به الى المسرح ، اثر عربي اتجه به الى القصة ٠ واذا كان دانتي اليغييري قبله بقرون ، قد استوحى ملحمته « الكوميديا الالهية »من « رسالة الغفران » لابي العلاء المعري، فان بوكاتشيو في « الديكاميرون » قد اقتبس روح « الف ليلة وليلة » التي كانت شائعة كثيرا لا في صقلية وحسب ، وانما في كل انحاء ايطاليا ، وعن طريقها وضعت اللبنة الاولى لما يعرف اليوم بـ « فن القصة » بعد ان كانت القصة عبارة عن « حدوته » وهو بالضبط ما تعنيه الكلمة الاجنبية « فاشيتا » (Facetia) (١)

ولو اخذنا مسرحية « الجرة » (La Giara) ولها نفس المدلول في العربية ، حيث انها من جملة الكلمات والمشتقات التي دخلت على اللغة الايطالية نتيجة للتفاعل بين سكان الجزيرة والعرب عندما كان هؤلاء يحكمون الجزيرة، لادركنا مدى التأثير العربي في هذا الكاتب ٠

ان هذه المسرحية ذات الفصل الواحد تتناول حياة شريحة كبرى من المجتمع ، هي طبقة الفلاحين ، فتصور حياتهم وعاداتهم القديمة وانسحاقهم امام الاوهام ، وتعالج علاقاتهم الاجتماعية بشيء من الصدق ، فتتراءى لنا صلة الوصل بين هؤلاء الفلاحين والفلاحين العرب ، وكلا الطبقتان

(١) د٠ رشاد رشدي « فن القصة » مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ٠

وليدتا حضارة ذات جذور واحدة • وكأن ما تحدثت عنه هذه المسرحية يحدث نظيره في اي قرية عربية ، نفس الشخصيات المتناقضة : الانسان الطيب يقابله الاخر اللئيم ، والرجل الساذج الغبي نقيض للرجل المحتال ، والدعي الجلف ازاء الانسان المتواضع البسيط ، والرجل الثري البخيل مقابل الانسان الفقير المحب للحياة والمرح •

شخصيات بيرانداللو المسرحية المسحوقة التي هي على الغالب تعاني هاجس المحبة والجنس والحب والكراهية والبحث عن الاستقرار والسعي الى تحقيق الثروة ، نماذج بينة من انماط الحياة العربية ، ولهذا كانت قراءة اعماله القصصية والمسرحية توحي للقاريء الاوروبي بانه يلج عالما غريبا عنه • والقاريء او المشاهد الاوروبي الذي يقرأ ابسن ويستوعبه كما يقرأ ويستوعب بيكيت وبريخت ويونسكو ، لم يفهم بيرانداللو في البداية ، لانه كما قال بعض النقاد الايطاليين ، جاء من عالم اخر مختلف (١) • فالفضائح النسائية التي رأينا نماذج منها في مسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » والتآمر العائلي كما شاهدنا بعضا منه في مسرحية « حسب تقديرك » كل ذلك « وقائع » ينوء بها مجتمعنا العربي للاسف ، كما ينوء بها المجتمع الصقلي ، لانها عصارة ذلك التفاعل التاريخي الواحد ، على الاقل ، لفترة طويلة من التاريخ المشترك •

(1) Domenico Maori « Storia della Letteratura Italiana », Società Editrice Internazionale - Torino 1964.

بيراندللو والقصة
خروج على الرومانسية من اجل الواقعية

حقيبة بيراندللو القصصية الملأى بالاعمال الجيدة وابرزها روايته « المرحوم ماتيا باسكال » ومجموعة قصصه « قصة في السنة » جعلت منه واحدا من عمالقة الادب القصصي في ايطاليا • وهو ، اذا لم يبلغ في القصة الشأو الذي بلغه في المسرح ، فان اثره في هذا الحقل الادبي كان بارزا ، اذ انشأ مدرسة يمكن ان ندعوها المدرسة الواقعية في ادب القصة الايطالي •

قبله كان الادب الايطالي مأخوذا بالانماط الادبية الاجنبية المستوردة • فمنذ القدم ، في القرن الثالث عشر بالضبط ، قام بوكاتشيو بوضع حجر الاساس لادب القصة في العالم الغربي ، بعدما استقى هذا الفن من التراث العربي ، خصوصا من « الف ليلة وليلة » فجاءت رائعته « الديكاميرون » من افرازات ذلك السفر القصصي الشرقي الخالد • وبعد رائد

القصة هذا ، جاء ادب نيكولو ماكيافيللي في قصتـه « كبيـر الشياطين بيلفيغور » وماتيو باندللو في اقصوصته « الراهب والغانية » منسـلخا عن البيئة الايطالية رغم اسماء الاشخاص والاماكن الايطالية في قصصهم • والذي يقرأ « المخادعـة المخدوعة » لبوكاتشيو لا يدري انه يقرأ أدبا ايطاليا لولا تذكير الكاتب له بأن القصة حدثت في باليرمو وان البطل من توسكانا • وكذلك ماتيو باندللو الذي تبرز من قصته روح مشرقية فيهـا الكثير من اجواء « الف ليلة وليلة » حيث تختلط الدعابـة بالنسك والصلاة بالمجون •

وحتى في مطلع القرن العشرين ، مع جيوفاني فيرغـا صاحب قصة « فروسية ريفية » وانطونيو فوغاتسارو مؤلف قصة « معبودون غير مكتملين » ورينانو فوتشيني في « النصب التذكاري » كانت القصة الايطالية ذات طابع فرنسي مكتـوب بلغة ايطالية ، والقلم السائل فيها اقرب ما يكون الى قلـم فلوبير في الرواية وغي دو موباسان في الاقصوصة •

كانت هذه القصص عابقة بالاجواء الرومانسية • ففـي سرد فوغاتسارو عن بحيرة لوغانو والحـب البـريء بيـن الكاتب بلسان بطل القصة والسـائحة الاميركية ، نفـس من لامارتين وبرناردين دي سان بيير اكثر مـن نفـس ايطالي • كانت الرومانسـية فواحة في هذه القصص ، مـع ان عصر الرومانسية كان قد انقضى منذ زمن •

وتتفشى النزعة المأساوية في الادب القصصي الايطالـــي بأســلوب شــاعري يعتمد الكلمة الرقيقة التي تستدر الدموع من مآقي القارىء • ففي قصص ادموندو داميتشيس ، ومنها « المراقب اللومباردي الصغير » الذي صرعه النمســاويون عندما جند نفسه لخدمة جيش بلاده الايطالية ، تفيض السيولة الشــاعرية في مأتم الغلام ، وهي نفس الســيولة التي تفيض من قلم غابريال دانوننتزيو في قصة « معجن الخبز » حيث ينزع القناع عن قسوة الانسان البخيل حتى ازاء اخيه الاصم المعاق •• وكذلك قصة غراتسيا ديليدا « سيدة وخدم » كانت قسوة الاجير الشاب هي الانعكاس المناقض لرقة الاجير الكهل وطيبته ووفائه لسيدته ••

لكن رغم كل هذه الدموع والنوازع البشرية المتناقضــة ، كان الادب الايطالي القصصي غريبا عن بيئته •• حتى لــدى المتأخرين من الكتاب امثال ماسيمو بونتمبللي وجيوفاني فيرغا وبيتيغرللي واماليا غوليلمينيتي وكورتسيو مالابارتي • ففي قصص مثل « مغامرات في البر والبحر » لبونتمبللي نلمس مدى تأثر هذا الكاتب بجول فيرن في قصصه الخارقة • فـــي حين ان قصة « دون ان تقول شيئا » لموريتي تنضح بأسلــوب بكائي نبغ فيه ميترلينك وهوغو وستيفان زفايج ، فيما كانــت قصة « القدر » لغوليلمينيتي ايجازا لشــارلوت برونتي في « جين اير » و « فيبو » الكلب بطــل قصة مالابارتي نمطــا لاتينيا لقصة تشيخوف عن الكلبة « كاشتانكا » !

وحده بيراندللو ، عبر عن البيئة الايطالية في ادبه بكـــل صدق وحرارة • فهو لم ينتم الى الرومانسية البائدة ، ولم يتأثر بالقصة الفرنسية او الانكليزية او الالمانية رغم اطلاعـه الواسع على الاداب الاوروبية ، قديمها وحديثها •

كان مترجما اصيلا لبيئته الصقلية بكل ما فيها من خشونة وطرافة • وكانت سخريته ذات المضمون الانتقادي اللاذع تؤكد اصالته الايطالية ، فجاء ادبه معاشا بلا ادنى تكلف ، ولــم يكن اسلوبه التهكمي هــو المعيــار لهـــذا الادب المعاش • او جيوفاني غواريسكي فاقه في الكتابة الساخرة ، لكن بيراندللو ينتزع السخرية من مرارة الانسان في واقعه البائس ، وليس من بســـمة المترفين كما عند غواريســكي • وهل هناك وجه للمقارنة بين اقصوصة « قديد » للاخير مثلا ، رغم الجو العابق بالمرح الذي يسودها ، وبين « المرحوم » للاول ، والتي يحلل فيها النفسية البشرية كاشفا ابعادها ، سابرا اغوارها ، فاذا السخرية مرآة تعكس الصورة بشكل مغاير ، بحيث تطفو على السطح ، الاعماق الانسانية التي ترزح بالعقـــد النفسيـــة والمعاناة المريرة •

في قصة « الحرب » التي تصور الموقف المتناقض لرجل مضى ابنه الجندي الى الجبهة ولقي حتفه ، يكابر في البدء بالفخر الذي يسببه اشتراك ابنه فــي القتـــال مــن اجـل وطنه ثـم الاستشهاد في سبيله •• ثم ينفجر في البكاء عندما يــدرك اخيرا حينما سقط قناع المكابرة عنه ، ان ابنه الذي مضى الى

الحرب وقتل ، لن يعود ثانية اليه !

في هذه القصة التي بلغ فيها بيراندللو الكمال التقني (١) فلم يبالغ في التضليل ذي المسحة الوطنية الـــذي يصـــور بسذاجة « فرح » الانسان « الوطني » عندما يقضي ابنه فـــي الحرب من اجل الواجب دفاعا عن وطنه ، في هذه القصة تكمن عينة من عبقرية هذا الكاتب العظيم الذي آلى على نفســه ان يفقأ الدمل الناجمة عن تضليل النفس والايغال في الوهم ، فأكد ان الادب هوما يعيشه الانسان بكل انفعالاته وضعفه وقسوته ٠ قد لا يكون هو الطبيعة بحد ذاتها ، لكنــه محاكــاة للطبيعـــة في سموها وانحطاطها ، في كل بهي جميل فيها ، وفي كل قذر قبيح فيها ٠

حينما كان فوغاتسارو يستعرض معلوماته الادبية بلسان بطل احدى قصصه فوق ســطح بحيرة لوغانو ، مســتعيدا بعض اشعار لورد بايرون (٢) عن هذه البحيرة ، امام محبوبته الاميركية ، كان بيراندللو يحاول تفسير العلاقات الاجتماعيـــة بين الناس ، كاشفا التناقض بين الكائنات بصيغة لم يسبقــه اليها أحد ، فكان بحق ، الكاتب الذي ادخل طعم تراب الارض

---

(١) د٠ رشــاد رشــدي « فن القصة القصيرة » مكتبــة الانجلــو المصرية ـ القاهرة ٠

(2) Edgard Cavalheiro « Maravilhas do Conto Italiano » Editora Cultrix - Sào Paulo 1957.

الصقلية الى الكلمة الايطالية الادبية · ومعه ، لم يعد الادب الايطالي نمطا عن الادب الفرنسي او الانكليزي او الالماني ، ولم يعد اسلوب استدرار الدموع قائما ، فزال به عهد الرومانسية مع زوال تقليد غي دي موباسان وبرناردين دي سان بيير وحتى جول فيرن !

ادريانو تيليير ، وهو افضل النقاد الذين عاصروا بيراندللو وتمكنوا من فهم أدبه القصصي ، رأى فيه فنانا جديدا قادرا على ترجمة الحياة في شفافية التعبير المتقدم · وقد حملت قصصه الملامح الاقليمية بعد ان كانت قد اهملت بعد فيرغا · (١)

لقد ثار هذا الكاتب على القوالب الفنية الشائعة في زمنه لانها كانت ترسم للقصة اشكالا تقيدها فيها · وابى ان يجعل الفلسفة تنساب من بين افواه ابطال قصصه ، حيث جعلهم طبيعيين جدا · اما التشاؤم الغالب على شخصياته ، فلم يكن دخيلا عليها او تدخلا من الكاتب مباشرة في حركة هذه الشخصيات ، انما كانت تفرضه طبيعة « الحياة » في هذه

---

(1) Corrado Simioni « Luigi Pirandello » Arnoldo Mondadroi Editore - Milano 1970.

القصص « الواقعية » ··

ويقول لويجي روسو : كان المسرح عصارة حياة هذا الفنان الروحية ، وبه عبر من خضم اليأس الى حافة الاستقرار ، لكنه في قصصه ايضا لم يأت بما كان شائعا لدى المدارس الادبية في عصره ، وكان هذا هو الاشكال الاول الذي يقع فيه ذوو التعبير الفني · انه بصراحة ، خلق نمطا من الكتابة القصصية خالية من الحشو البلاغي خلوها من سذاجة التعبير والحبكة الفنية (١) والمتوفرة بشكل صارخ لدى جماعة الرومانسية ·

اما ماسيمو بونتمبللي صديقه الكاتب الروائي ، وهو من الذين كتبوا سيرة حياته بصدق وشمول ورشحوا ادبه ، فقد اعلن ان اسلوب بيراندللو في القصة كان بعيدا عن الصناعة اللفظية ، وعباراته بسيطة ، وجمله مقتضبة (٢)· كانت له لغته الخاصة ، وهي قليلة العناصر الجدلية الشائعة في اللغة الايطالية الدارجة ، لكنه طعم هذه اللغة بقالب تعبيري يعتمد على الحوار الداخلي النابض بالمشاعر الحية المتحركة داخل اللغة المحكية او المكتوبة ·

كان بيراندللو مثل كل الكتاب الكبار في زماننا ، يخاطب القارىء كأخ ، ويشاركه في همومه كيلا يبقى الكاتب انسانا

---

(١) المصدر السابق ·

(٢) المصدر السابق ·

وحيدا ، لان تفرد الكاتب وعزلته عن الاخرين ، يجعلانه غريبا عن المجتمع ، عن بيئته ، فيفقد قدرته على التعبير عن معاناتهم وهمومهم • اي ، يفقد التعامل مع شخصياته بصدق ، فلا يعود ادبه واقعيا • وعلى هذا ، لم يسقط بيراندللو في بؤرة الاسفاف او الاجترار ، ومواضيعه التي عالجها في اعماله الروائية ، منذ « المرحوم ماتيا باسكال » الى «الكهول والشبان» كانت مختلفة عن بعضها البعض ، وكل منها ينبض بالحياة والحرارة رغم جليدية الواقع ورتابته •

وفي النص الذي سنقدمه الان كنموذج لاعمال هذا الاديب القصصية ، سنتعرف اكثر الى بعض من عبقرية هذا الكاتب الواقعي الذي دق المسامير في تابوت القصة الرومانسية •

المرحوم

نموذج من القصة عند بيراندللو

سمع خطيبته تقول له في اليوم الاول لاعلان خطوبتهما : اسمي في الواقع ليس لينا · انه كارولينا · لكن المرحوم كان يدعوني لينا ، فصرت اعرف به ·

« المرحوم » كان زوجها السابق المتوفي · واشارت الخطيبة الى صورته المعلقة على الجدار · كان هناك يبتسم وهو يرفع يده محييا · كانت الصورة كبيرة ، ثمينة ، تنتصب فوق الاريكة التي يجلس الخطيب عليها · وكان من عادة الخطيب أن يرد على تحية صاحب الصورة المعلقة على الجدار بانحناءة عفوية من رأسه ·

انتزاع تلك الصورة من بهو المنزل امر لم يخطر ببال الارملة · كانت صورة صاحب المنزل ، والبيت بيته · لقد كان

مهندسا وهو الذي شاده وفرشه بشكل انيق مكلف ، قبل ان يتركه لها مع املاكه الاخرى ٠

وواصلت لينا حديثها دون ان تنتبه الى الاضطراب البادي على ملامح خطيبها :

ـ لم اكن احب ان اغير اسمي ، لكنه ـ اي المرحوم ـ قال : ما رأيك لو دعوتك بـ « كارا (١) ٠٠ لينا » بدلا من كارولينا ' انها تسمية متشابهة ، لكنها اجمل ٠٠ فما رأيك ؟

قال الخطيب ، ويدعى برتولينو ، وكأن المرحوم هو الـذي يطلب منه ابداء الرأي :

ـ رائع !
اجابت وهي تبتسم :
ـ اذن ، كارا ٠٠ لينا ٠٠ مفهوم ؟

اجابها برتولينو باضطراب وخجل معتقدا ان الزوج المتوفي يطل برأسه عليهما من الجدار ضاحكا محييا :

ـ مفهوم !

---

(١) كلمة (Cara) تعني « عزيزة » اي « العزيزة لينا » ٠

بعد شهور ثلاثة ، غادر برتولينو وزوجته الى روما لقضاء شهر العسل وقد صحبهما الى المحطة بعض الاقــارب والاصحاب . ومن بين هؤلاء السيدة اورتنسيــا صديقــة العريسين الحميمة ، فقالت لزوجها وهي تشير الى برتولينو :

ــ مسكين هذا الولد . لقد زوجوه من رجل !

ولم تكن السيدة اورتنسيا تعني ان لينا امرأة مسترجلة . فقد كانت هذه امرأة ذات انوثة جياشة . لكنها اذا قورنــت ببرتولينو ، فانها اكثر منه خبرة بالحياة . اما هو فكان فتى اشقر ، يدل مظهره على انه طفل مدلل . وكانت صلعته تبدو كأنها غير حقيقية ، كما لو انه قص شعر رأسه وبدا اقرع ، كي يزيل عنه مظهر الطفولة الذي يظهره غرا . لكن مع كل هــذا ، بقي طفوليا في مظهره .

ــ مسكين برتولينو .

فقال زوجها العجوز في صوت أخن ، متذكرا انه صاحــب اليد الطولى في اتمام هذا الزواج ، ولا يحب ان يســمع ما يؤكد خطأه :

ــ لماذا هو مسكين ؟ انه ليس ساذجا ، فهو رجل له مكانته في ميدان الكيمياء .

ــ انه ممتاز

ثم اردف :

ـ انه كيميائي قدير · ولو استطاع ان ينشـــر ابحاثـــه ودراساته العميقة الضالعة في العلم والتي تفرغ لها مذ كان يافعا ، لفاز ، ربما ، في اول مسابقة تجريها الجامعة للدولة بمنصب استاذ · ولا بد ان يصبح ذات يوم عالما · وسيكون الان زوجا مثاليا · انه ولج الحياة الزوجية طاهرا محتفظا بعذريته ··

قاطعته الزوجة وكأنما اتاحت لها فرصة التحدث عن عذريته، مواصلة سخريتها من هذا الزواج :

ـ ومن اجل هذا ·

في الحقيقة ، كانت تضحك قبل ان يتم هذا الزواج ، كلمـا سمعت الاقارب يقترحون على والدته تزويجه ·· وكان هـــذ الضحك يثير حفيظة زوجها الذي كان يصر على تزويجه · وكان يقول لها بحنق :

ـ لا بد من تزويجه ·

وكانت تتوقف عن الضحك وتزعق فيه :

ـ زوجوه يا اعزائي ، زوجوه ، انا اضحك مما اقراه ·

وكانت في تلك الاوقات تقرأ قصة فرنسية لوالدة العريس العجوز ، وقد ظلت لستة اشهر وهي لصيقة مقعدها نتيجة شلل اصيبت به فيما كان زوجها يلعب الشطرنج مع عم برتولينو ٠

ما ابهج تلك الليالي ! كان برتولينو يعتزل الناس ويقبع في الحجرة التي يجري فيها تجاربه ٠ وكانت والدته تتظاهر بالاصغاء الى القراءة دون ان تفهم جملة واحدة ، وكان العجوزان المنهمكان باللعب يرددان :

ـ يجب تزويج برتولينو حتى ندخل شيئا من الفرح الى هذا المنزل ٠

وهذا هو الان ! يا للمسكين ! لقد زوجوه حقا ٠ لكن يا لها من مصيبة !

كانت اورتنسيا تفكر في الزوجين المسافرين وتضحك كلما تصورت لينا وهي تختلي بذلك الشاب الاقرع الساذج ذي القلب الطاهر ، كما يصفه زوجها ٠ من المضحك ان تختلي به لينا التي عاشرت محبوبها المهندس اربع سنوات ، وكان خبيرا بالنساء ، مرحا ونشيطا ، من يدري ، ربما لاحظت في تلك الساعة الفرق بين الاثنين ٠

وقبل ان يتحرك القطار ، قال عم برتولينو للينا :

ـ اوصيك به ٠ ارشديه انت !

كان يقصد بالطبع ان ترشده في روما التي لم يرها من قبل ٠ اما هي فقد شاهدت روما في رحلتها الاولى لقضاء شهر العسل مع المرحوم ٠ وهي ما زالت تذكر حتى الاشياء الصغيرة والوقائع التافهة التي عاشتها ٠ كانت ذاكرتها قوية ودقيقة في استعادة التفاصيل ٠ انها تتذكر كل شيء وكأنما الاحداث لم تمض الا منذ ستة شهور وليس ست سنين ٠

لقد شعرت انه قد مضى على رحلتها مع برتولينو وقت طويل ، وما ان وصل القطار الى روما حتى قالت له :

ـ اتركني اتدبر الامر ٠ ارجوك ، دع كل شيء بتصرفي ٠ اعطني الحقائب ٠

عدت الحقائب والاغراض التابعة لها ثم عهدت بها الى الحمال الذي طلبت منه ان ينقلها الى فندق فيتوريا ٠

حينما خرجت من المحطة تعرفت فورا الى سائق السيارة العاملة بالاجرة ، فسلمت عليه وقالت لزوجها بعدما استقلا السيارة :

ـ سوف ترى ٠ انه فندق مريح رغم انه متواضع ٠ الخدمة فيه جيدة ٠ نظيف واسعاره معقولة ، وبالاضافة الى ذلك فانه كائن في موقع ممتاز ٠

وبلا وعي منها ، سرعان ما تذكرت المرحوم الذي كان يحب هذا الفندق كثيرا واعجبته الخدمة فيه · من كل بد سيكون برتولينو بدوره شاكرا لها المجيء به الى هذا الفندق · رباه ، انه فتى طيب ، حتى انه يكاد لا يتنفس ·

سألته : انك شارد البال ؟ انا نفسي كنت اشعر نفس هذا التأثير في زيارتي الاولى · لكن سترى · روما ستدخل البهجة الى قلبك وستحبها · انظر الى تلك الساحات هناك · اليس شارع « ناتسيونالي » جميلا ؟ سوف نعبره لاحقا ·

ونزلا في الفندق · كانت لينا تشعر انها في بيتها · وكانت تعرفهم كلهم · الخادم الكهل بيبو ، مثلا ، انه يبدو كما كان منذ ست سنوات ·

ـ اي غرفة ؟

قادها الخادم الى الغرفة ١٢ في الطابق الاول · انها غرفة جميلة وسيعة ذات سرير نظيف وانيق ·

ـ بيبو ، اريد الحجرة ١٩ في الطابق الثاني · هل ترى اذا كانت غير مشغولة ؟

انحنى الخادم قائلا :

ـ حالا ·

واخذت تفيض بذكر محاسن الغرفة لزوجها :

ـ انها مريحة اكثر ، كما ان فيها مغطسا صغيرا قـــرب السرير وهي اكثر تهوية وبعيدة عن الضجيج • سوف ترتاح فيها اكثر من هذه الغرفة •

تذكرت لينا ان ذلك ايضا جرى مع المرحوم ، اذ قادوه الى غرفة في الطابق الاول لكنه طلب غرفة اخرى •

وعاد الخادم بعد قليل ليعلن ان الغرفة ١٩ غير مشغولة وهي بتصرفهما اذا احبا الاقامة فيها •

طارت لينا فرحا وهتفت :

ـ اجل اننا نريدها •

وابتهجت لدى ولوجها باب الغرفة ، حيث كانت كما كانت سابقا • المفروشات ذاتها في امكنتها المعتادة •

بقـــي برتولينـــو يشـــعر بالغربـــة رغـــم شـــعور زوجتـــه بالاطمئنان ، فسألته وهي تضع قبعتها على المشجب قـــرب المرآة :

ـ الاتعجبك الغرفة ؟

اجابها : بلى ، تعجبني ، فهي جميلة ٠

ـ اوه ٠٠ لقد لفتت المرآة انتباهي ٠ تلك اللوحة لم تكن هناك ٠ بل كانت ثمة آنية من صنع اليابان ، ربما تكون قد تحطمت ٠ لكن قل لي : هل تعجبك ؟ ارجوك ، لا تقبلني الآن، فوجهك متسخ ، وعليك ان تغسله ٠ انا ذاهبة الى هناك ٠

وهربت منه وهي تشعر بالسعادة والمرح ٠ فنظر الى ما حوله بعد ان كبت رغبته فيها ، واقترب من السرير رافعا الغطاء ٠ رأى الفراش ٠ لا بد ان يكون هو السرير نفسه الذي اضطجعت عليه للمرة الاولى ٠٠ مع زوجها المرحوم !

وخيل الى برتوليذو ، ان الزوج السابق يحييه من بعيد ، من صورة معلقة على الجدار في قاعة الاستقبال ببيت زوجته ٠

وطوال الوقت الذي قضياه في روما ، لم يكونا يرقدان فقط في السرير نفسه ، بل كانا يتناولان طعام الغداء والعشاء في المطاعم ذاتها ، حيث كان المرحوم يصطحبها لتناول الطعام ٠

وسارا في شوارع روما ، متابعين كالكلب ، خطوات المرحوم الذي كان يقودهما بذكريات الزوجة عنه ٠٠ زارا المتاحف والاثار والمعارض والكنائس والحدائق وشاهدا واهتما بكل ما عرضه المرحوم على زوجته ٠

كان برتولينو حييا ، فلم يتمكن في الايام الاولى ان يظهر سأمه وحنقه وسخطه على ان يتابع فيكل شيء ، خبرة ونصائح وذوق المرحوم وميوله ٠ لكنها لم تفعل ذلك للرغبة في الاساءة اليه ٠ ولم تكن تدري ان في تصرفها ذاك مايسيء اليه ٠

لقد تزوجت من المهندس حينما كانت في الثامنة عشرة ، فتاة صغيرة تفتقر الى الادراك وليست لها فكرة واضحة عن الحياة ، فانساقت الى ذلك الرجل الذي علمها وجعل منها امرأة كما يريد هو ٠ فكان زوجها السابق بشكل او آخر ، هو الذي صنعها ، وهي مدينة له بكل شيء ، ولا تتمكن من التفكير او مجرد الشعور ، حتى وان تتكلم او تتحرك الا حسب ما رسمه لها المرحوم ٠

ولماذا تزوجت ؟

تزوجت لان المرحوم علمها ان الدموع لا تفيد شيئا ازاء الكوارث ٠ والحياة للباقي ، والموت لمن كان قدره ان يموت ٠ لو كانت هي ، لكان سيتزوج من كل بد ٠ اذن يجب على برتولينو ان يسلك الطريق نفسه الذي رسمه معلمها ومرشدها المرحوم ٠٠ وليس المطلوب منه ان يفكر في شيء ، ولا ان يعلق على شيء ٠ عليه ان يضحك وينشد الترفيه عن النفس مادام هناك متسع من الوقت ٠ انها لم تكن تبغي الحاق

الاساءة به عن طريق متابعة السير على خطى المرحوم • لكن في النهاية ، لم تكن ثمة قبلة ، مداعبة ، الا وفيها اثر من اسلوب المرحوم • هل حكم عليه بان لا يستطيع ان يجعل هذه المراة تشعر بشيء فيه طابعه الخاص ؟ شيء يبعد قليلا نفوذ المرحوم على حياته ؟

بحث برتولينو كثيرا • لكن الخجل كان يمنعه من ابتكار مداعبات جديدة • انه كان يبتكر ، بينه وبين نفسه ، مداعبات جديدة وجريئة • لكنها كانت تتبخر من رأسه بنظرة واحدة تسلطها عليه زوجته عندما تلمح الخجل يعتريه ويتضرج وجهه، فتسأله عما ألم به ، فيجيب بشيء من البلادة : لا شيء •

عند عودتهما من الرحلة ، اقلقهما خبر محزن غير منتظر• لقد مات السيد لوكا على حين بغتة وهو الذي ساعد في مسألة زواجهما • واسرعت لينا الى السيدة اورتنسيا تعزيها وتشد من ازرها في الشدة، كما وقفت هي منها بكل ود كأخت ، عندما توفي المرحوم •

كانت تعتقد ان هذه المهمة لن تكون عسيرة ويجب الا تكون اورتنسيا في الواقع حزينة لهذا المصاب، لان زوجها ، رغم انه كان طيبا في الحقيقة ، كان انسانا يبعث الملل والضجر في نفوس الاخرين • كما انه كان يكبرها بكثير •

كانت حيرى لكونها لم تجد للعزاء مكانا لدى صديقتها ، رغم مرور عشرة ايام على حدوث المصاب ، فظنت ان زوجها تركها في اوضاع اقتصادية سيئة • فسألتها بلطف بعد ان تشجعت ، عن سبب هذا الحزن المقيم ، فأجابتها وهي دامعة العينين :

ـ لا اشكو ضائقة اقتصادية • لكنك سوف تفهمين •

ماالذي ستفهمه ؟ هل كل هذا الحزن جدي ؟ ان ذلك عسير على فهمها • لكن برتولينو اجابها وهو يرفع كتفيه فيما تضرج وجهه لسؤال زوجته •

ـ على كل حال ، لقد مات زوجها •

فهتفت متعجبة :

ـ دعك من هذا • كان يبدو لها ابا اكثر من كونه زوجا لها •

ـ وهل هذا قليل حسب اعتقادك ؟

ـ لكنه في النهاية لم يكن ابا •

كانت لينا على حق • فاورتنسيا كانت تنتحب اكثر من اللازم • في شهور الخطبة الثلاثة كان زوج اورتنسيا قد لاحظ ما اصاب الشاب من ذهول واستغراب نتيجة بساطة

زوجته في حديثها عن زوجها السابق ٠ كان قلقـا لكونه لـم يستطع التوفيق بين ذاكرتها المتوقـدة التـي تحتفـظ بتلـك الذكريات ، وبين قبولها الزواج منه ٠ لقد بحث هذه القضية مع الكهل فحاول هذا طمأنته والتأكيد له على ان هذا الكـلام دليل الصراحة التي يجب الا يعتبرها مهينة له ، لان زواجهـا الجديد يجب ان يجعلها تتأكد من ان لا جذورا لذكرى زوجها المرحوم في قلبها ، انما الذكرى كانت في الذهن وحسـب ٠ ولهذا لاتجد حرجا في التحدث امامه عن المرحوم ٠ وقد احس برتولينو بنوع من الثقة في نفسه بعد سماع هذا الكـلام المنطقي ٠

وكانت اورتنسيا تدرك ان قلق الشاب قد تزايد من صراحة زوجته بعد زيارة روما ، ولهذا جهدت في ان تبدو امامه عندما جاء يعزيها ، بمظهر المرأة التي لا يمكن ان تنسى ٠

لقد ترك ذلك الحزن في نفس برتولينـو اثـرا ، فأحس بعطف عليها ٠ وللمرة الاولى عارض بسبب هذا الحـزن ، زوجته التي لم تؤمن بحزن صديقتها ٠

ـ ألم تبكي انت عندما مات ؟

ـ لا مقارنة بين الاثنين ٠ لقد كان المرحوم ٠٠

قاطعها قائلا :

ـ اجل ، كان شابا ٠

وقالت :

ـ لقد بكيت وبكيت ٠٠ هذا شيء مشروع ٠

وجرؤ ان يسألها :

ـ الم تبكي كثيرا ؟

ـ لقد بكيت كثيرا ، كثيرا ٠ لكني اخيرا حكمت عقلي ٠ صدقني ٠ انها تبالغ في حزنها ٠

لكن برتولينو لم يصدق ، بل شعر بعد هذا الحديث ان الغضب تفاقم في صدره ، ليس من زوجته، وانما من المرحوم٠٠ لانه ادرك ان الطريقة التي تعتمدها في حكمها على الاشياء وتفكيرها وشعورها ، ليس فيها شيء منها ، لكنها ثمرة مدرسة ذلك الرجل الذي كان بلا شك خليعا ماجنا من الدرجة الاولى ٠

ان برتولينو يراه كل يوم ، عندما يدخل بهو المنزل ، باسما وكأنه يرحب به ، انه لم يعد يحتمل هذه الصورة ٠ انها تلاحقه كلعنة ، فهي امام ناظريه دائما ٠ اذا دخل المكتب

كانت الصورة اول شيء يراه • والمرحوم في وضعه المرحب كأنما يريد القول :

ـ تفضل ، تفضل •• لقد كان هذا مكتبي ، انه مكتب مهندس ، هل تعرف ذلك ؟ لكنه تحول الان الى مختبر كيميائي • اتمنى لك عملا طيبا ، فالحياة للباقي والموت لمن مات •

وعندما يدخل حجرة النوم ، تلاحقه هذه الصورة الى هناك •• وهو دائما ، مع ابتسامته وترحيبه ، كأنما يريد القول :

ـ تفضل •• تفضل •• ليلة طيبة ! هل انت راض عن زوجتي ؟ لقد احسنت تعليمها ، اوه ، الحياة للباقي والموت لمن مات •

انه لم يعد يحتمل اكثر من ذلك • لقد ضاق عليه البيت بوجود ذلك الرجل ، كما ضاقت زوجته بوجوده • لقد وجد نفسه ، وهو الرجل الهادىء ، ضحية لعذاب دائم حاول تجاهله لكنه لم يستطع • واخيرا صمم على ان ياتي بتصرفات غريبة حتى يؤثر على زوجته فتتغير من عاداتها • ونسي ان هذه العادات لم تكتسبها زوجته الا بعد ان اصبحت ارملة • فقد كان المرحوم نشيطا ذا رغبات حيوية • ولم تكن لديه هو

عادات ، لهذا لم تكن الاعمال الغريبة التي صمم برتولينـــو على ان يقوم بها ، غريبة لدى زوجته التي فاجأته بقولها :

ـ رباه ، انك تتصرف مثل المرحوم !

لكنه لم يذعن ويركن الى الهزيمة ، فجاهد طبيعته حتى تأتي بما هو اشد عجبا وغرابة · لكن اي عمل يأتيه ، كانت تؤكد له ان المرحوم قام بمثله · في الحقيقة قام المرحوم بكل شيء !

وتضاعف غضبه لكونها ابدت ارتياحها الى هذه المحاولات الانهزامية التي يجعلها بقاؤها تشعر انها مازالت تعيش مع المرحوم · عندئذ ، وضع برتولينو خطة مؤلمة كي يخفف من شعوره بالمرارة التي تتفاقم في نفسه · حقا انه لم يكـــن ينوي خيانة زوجته بقدر ما كان يريد الانتقام من ذلك الرجل المرحوم ·· الذي انتزعها منه كليا ، وما يزال يحتفظ بهـــا حتى الان ·

كان يعتقد ان هذه الخطة الشريرة قد تولدت فـي ذهنـه بصورة عفوية ، لكنه في الحقيقة يجب ان يعتذر له ، لكـون الفكرة قد تسللت الى ذهنه من قبل تلك المرأة التي حاولـت عبثا عندما كان شابا اعزب ، ان تغويه بألاعيبها لتصرفـه عن جنوحه نحو دراسة الكيمياء ·

انتصرت اورتنسيا ، وبدت له ان خيانة صديقتها تشعرها بالالم · وافهمت برتولينو انها كانت تعشقه قبل ان يتزوج من صديقتها · ولكن ذلك حكم القدر ، فليكن ما لا بد منه ·

وظل برتولينو الشاب الساذج ، ذاهلا ، للسهولة التي استطاع بها ان ينفذ خطته ·· وحينما كان وحده في مخدع الكهل الطيب ، شعر بالندم لهذا التصرف الدنيء · لكن بصره وقع فجأة على شيء لامع فوق البلاط قرب المكان الذي كانت فيه اورتنسيا على السرير · كانت سلسلة ذهبية لابد ان تكون قد سقطت من عنقها · فرفعها ، وفي خلده ان يعيدها اليها ، لكنه وجد نفسه يفتح العلبة الصغيرة التي تتدلى من السلسلة ، في حركة عصبية من اصابعه دون تصميم منه على ذلك ·

حتى هنا ·· كانت صورة صغيرة للمرحوم ·· وهو يبتسم مرحبا !

بيراندللو والمسرح
التقرير بين الحقيقة والوهم

بدأ بيراندللو يكتب للمسرح وهو قد تجاوز الاربعين مـن عمره ، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعله يقدم لجمهوره فنا متميزا عميقا رغم شفافيته الادبية • وبينما نجد مســرح تشيخوف مثلا ، نابضا بالجدية رغم بساطته ، كان مســرح بيراندللو زاخرا بالسخرية رغم تعقيده •

أحد النقاد المعاصرين له ، قال ان نضوجه في السن عندما شرع يكتب للمسرح ، رفد فنه بعطاء ناضج مشحون بالخبرة والثقافة العميقتين ، وهذا ما كان ليتسنى لكاتب في العشرين على سبيل المثال ، ولو كان يتحلى بموهبة شبيهة بموهبــة شكسبير •

لقد خاض بيراندللو عباب المسرح عام ١٩٠٨ بعد ان ثبت قدميه في كتابة القصة ، وما ان ظهرت اعماله المسرحيـــة

الاولى على خشبة المسرح وكانت بعنوان « المهزل » حتى لفتت اليه الانظار ، فأخذ النقاد يهتمون به ، وان كانت الشهرة لم تأته ككاتب مسرحي ، في ذلك الوقت ٠

كان عليه ان ينتظر ثماني سنوات اخرى ليغدو شهيرا ، ففي شهر تموز عام ١٩١٦ بعد النهاية السعيدة لمسرحية « فكر يا جياكومو » كتب بيراندللو لابنه ستيفانو يقول : « هذه الكوميديا تكرر تقديمها بنجاح ، فجابت شبه الجزيرة الايطالية بفوز كبير وسط حماس لا مثيل له ، اني مقيد بالتزام يقضي بكتابة كوميديا اخرى لشهر تشرين الاول القادم، وامل ان احتفظ بالمسرح » (١) وبالفعل ، تمكن بيراندللو من الحصول على المسرح في وقت لاحق بعد ان كتب بعض الروايات ومئات القصص القصيرة ، وكان ذلك ضد رغبته ٠

ان انشاء المسرح بشكل او بآخر ، كان المصب الطبيعي للفن البيراندللوي (٢) ٠ وحتى الان لا يدري احد لماذا كرس بيراندللو كل فترة سني الحرب العالمية الاولى للتأليف المسرحي ، مع ان قصصه كانت قد تضمنت كيانا مسرحيا مؤلفا من حوارات كثيرة محبوكة بقالب شبه مسرحي ٠ فكل ذلك النمو في منحاه الفني الموضوعي كان يشمل بدوره

(١) نفس المصدر السابق ٠
(٢) نفس المصدر السابق ٠

عنصرا ممسرحا • ونظرته المتفرسة الناتجة عن تفكيره المنسق ، المشحون بالفكاهة التي وظفها في مسرحيته النابضة بالحكمة رغم كونها من بدايات مسرحه والتي عنوانها «المهزل» وحاول فيها اقناعنا بأن الحياة هي مجرد تهريج ودعابة ، مشابهة كثيرا لما بينه على خشبة المسرح •

من وجهة النظر هذه ، يتضح بشكل مقبول كليا البحث الذي عرضه لويجي روسو الذي يقول فيه ان المسرح جاء افرازا للحياة الروحية التي عاش الفنان جزءا كبيرا منها وهو خاو من نفسه ، مانحا الهامه الحقيقي تنفيسا غير قادر على ان يقدم شكلا شائعا او تعقيدا فكريا للمشكلة الفنية في صورتها البدائية (١) • وبدون شك ، فان بيراندللو يعقد ، وبشكل ما ، في مسرحه الثري ، موضوعيته ذات الاصالة • لكننا لا نتطرق الى مجرد تدبير فني ، الى شرح قصة ، انما نتطرق بالاحرى ، الى اجلاء داخلي يقودنا الى بعد جديد اكثر ابداعا وسموا ، محوره مكون من التقرير بين الحقيقة والوهم ، بين الانسان والشخصية ، بين السلوك السوي والسلوك الشاذ •

في هذا الاحساس الذي كوناه من خلال استيعابنا لاعمال بيراندللو المسرحية ، اصبحنا نملك القدرة على التمييز بين

---

(١) نفس المصدر السابق •

ثلاثة وجوه لنمو عمله المسرحي وتطوره ، وهذا على وجـــه الخصوص شيء مهم لاستيعاب الحقبــة الاولى التي تنتهــي عام ١٩١٨ وفيها كتب مســرحيات كوميدية مثــل « فكر يا جياكومو » و « زهور صقلية » و « وليولا » ٠

في مسرحية « فكر يا جياكومو » يبدو الفرد الذي يؤكــد حقوقه ، كثير التأمل ، وغيـــر متناسق ٠ وابداؤه الحــذر مسبقا ، كما يقول ماريو باراتو ، ليس فقط بسبب الوضوح ، لكن لانه غير اعتيادي ٠ فالنموذجي في هذه الحالة يقوم مقام الاصيل ، ومن وجهة معينة ، يصير الشاذ نوعا مــن الورم الذي يشد المجتمع بشكل متواصل ، الى اعادة امتصاصـــه ، مثل قصص متوالية رديئة ، وهذا هو النتاج الراسخ للسوية فيه (١) ٠ وخلاف ذلك ، فان السيكولوجية ذات الهوس ، والموهبة الحمقاء المتلاحقة ، هما حقيقة معروفة باطنيا ازاء حالة انسانية واضحة ، تذهب الى ان الفرد مرئي دائما نتيجة صدام داخلي غير سليم (٢) ٠

ويقول البروفسور توتي عن بطل « فكر يا جياكومو » انه شخصية نموذجية بيراندللوية من ذلك العهد ٠ فهو انانـــي

---

(١) نفس المصدر السابق ٠
(٢) نفس المصدر السابق ٠

بورجوازي صغير ، لم يحصل على تفسير للحقيقة التاريخية عن حالته الخاصة ، مع انه يحترم شخصيات المسرحية الكوميدية الاكثر طبيعية بالنسبة للبيئة الصقلية التي من ضمنها عنصر جدلي ساخر ، حيث الهزلي امام غير السوي • وبناء على معارضته للسوية في الوسط ، الذي يعبر عنه ذهنيا بشكل جذري من خلال المناقشات ، فان نتيجة هذه الدراما هو الجلد الذي يمارس على الفرد وعجزه في الاتيان بأي عمل • (١)

ان ذلك يلاحظ ، على سبيل المثال ، في مضمون الشروحات العاطفية والجنسية • ان الشخصيات البيراندللوية المحاطة بالتضاد ، اخذت على عاتقها ، بأي ثمن ، الاساءة للدقة الاخلاقية عند البورجوازية • لكنها لم تجرب الحب ابدا ، اذا اردنا تحديد سلسلة التمارين الشفوية حول الشيء الذي كان حبا دون ان تجنى ثماره • (٢)

الوجه الاخر لمسرح بيراندللو الذي بلغ ذروته عام ١٩١٧ واستوعب القسم الاكبر من العمل البيراندللوي من « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » و « انريكو الرابع » الى « اكس العراة» تدور العجلة حول مشكلة التقرير مع الحقيقة •

---

(١) نفس المصدر السابق •
(٢) نفس المصدر السابق •

يقول بيراندللو : « الحياة اذن تدار بشكل ضيق ، معتاد وهي بين هذه المظاهر لاتشبه تقريبا الحقيقة مثلما تشبه التصور الميكانيكي فكيف نعطيها الاهمية ؟ كيف نكن لها الاحترام » ؟

ان طلبه هذا ، حيث المسرح البيراندللوي يأخذ نفسا جديدا ، يثير السخط ، اي يثير الصراعات بين المظهر والحقيقة، بين السوية والشذوذ، بين الفرد والعالم الخارجي· فهذه المسرحيات الكوميدية من العهد الاول قد اعطت خلاصة تجربة الفنان في الحياة حتى ذلك الوقت ، بصيغة تعابير مميزة في مفتاح علم النفس التحليلي · انها حالة دائمة للقلق مصممة من عدم القدرة على ترجمة كل المشاعر المتدفقة من العالم الخارجي ·

في الوجه الثاني ، تولدت حالة من الشيزوفرينيا · اعني ان الشخصية البيراندللوية مقلقة بشكل متفرد في ذاتها وان الجدلية بين الشذوذ والسوية نفسها تتحطم · فهذه السوية تصبح نسقا لحياة يهمل التقرير مع العالم··

ان التقرير بين المظهر والحقيقة يأخذ على نفسه ابعادا جد مأساوية كما يكتب سيلفيو داميكو · ان بيراندللو ينكر الفكر بشدة · وعلى هذا فالتفكير لديه هو الكينونة · لكن الدقة تؤكدها الاصالة لدى بيراندللو المسرحي · انها مؤكدة

بالاستحالة الناتجة عن التراجيديا التي يعالجها بشكل لم يعالج اكثر منها يأسا من قبل ٠

العهد الاخير من مسرح بيراندللو ، وابرز اعماله «واحد، لا احد ، ومئات » و « عمالقة الجبل » يولد من ازمة عميقة لدى الكاتب وفنه ٠ فالفرد البيراندللوي ، اي الشخصية ، يعري عدم الوفاء بالتزاماته امام مجابهة الحقيقة ٠ والعزلة الموضوعية التي فيها يعمل ، تقوده باستمرار الى التشتت ، او بالاحرى ، الى هزيمة تحققت قبلا نتيجة العراك ٠

في مسرحيته « خرافة الابن المبدل » وايضا في « عمالقة الجبل» يتفكك الالتحام الايديولوجي ويتحلل الفن البيراندللوي الى نوع من الضعف المريع ٠ وبينما يشيد مرثاة الفردية الموجهة الى الزوال ، المحكوم عليها بالقوى العمياء والوحشية التي يدخلها القهر عن طريق العبودية ؛ مثل : البطل في الرواية ، البقاء الجماعي ، الشخصيات الكورالية التي تنتمي الى الكلمة الاخيرة ٠ وفي الوقت نفسه تتفكك المتضادات بين الفن والحياة ٠ فالفن كلحظة ذات امتياز ، موجه نحو التلاشي ، لكن القوى تستطيع ان تخلفه في عملية الخلق العام ٠ اي في عالم يعيش التناغم والقوانين في التناسق والجمال.

ان يوتوبيا العظيمة هذه ، حاضرة في الكلمات التي

اشار فيها ستيفانو بيراندللو لوالده المحتضر ،متعهدا لــــــه بانهاء مسرحية « عمالقة الجبل » قائلا :« انها ليست فـــي الشعر ، حتى ولو كان في حالة ممتنعة · بل هي في عبيـــد الحياة المساكين المتعصبين ، حيث هم اليوم روح لا تتكلم · لكنهم سيتكلمون ذات صباح ، وسيتحطمون بكل بـــراءة ، كدمى متمردة · ان عبيد الفن المتعصبين لم يتكلمـــوا ، ليس لانهم مستثنون من الحياة ، بل لكونهم يدفعون كثيرا ثمـــن احلامهم الخاصة ، ولو ادعوا انهم يشترطون على من يعمل ان يثق فيهم » · (١)

الوهم اقوى

لقد ترجمت اعمال بيراندللو المسرحية الى اربعين لغة · وتعتبر مسرحيته « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » قمـــة اعماله الرائعة · ففي هذه المسرحية يؤكد هذا الكاتب الفـذ اسلوبه المميز في الدراما ، وهو ما ذهب اليه بعض النقاد : « كان تأثير بيراندللو على المسرح في هذا العصر اقوى من نفوذ اي كاتب مسرحي اخر » ·

وهذه المسرحية ، مع نظيرتها « نغادر الليلة » تمثلان مذهب بيراندللو في « المسرح في المسرح » وتعالجان التناقض بين

---

(١) نفس المصدر السابق ·

الشخصيات المسرحية وكأن هذه الشخصيات كائنات حية لها مشكلاتها الخاصة المعروضة امام الجمهور ٠

مسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » تحكي مأساة الشخصيات المؤلفة منها المسرحية حيث تروي كل منها مشكلتها الخاصة ٠ وهذه المسرحية ذات الشخصيات الست المتناقضة يمكن ايجازها على الشكل التالي :

انجبت الام وهي جميلة لكن على قدر كبير من التفاهة ، من زوجها الذي يفضلها كثيرا ، ابنا ، لكنها عشقت سكرتير زوجها الذي كان بائسا مثلها ٠ فتركها الزوج لتعيش مع عشيقها حيث انجبت منه ثلاثة ابناء ، ابنتين وصبيا ٠ وبعد ان توفي عشيقها اخذت المرأة تبحث مع اولادها عن لقمة العيش في المدينة القاسية ٠و قد انتهجت الفتاة ، وهي على قسط وافر من الجمال ، طريق الانحراف بعدما زينت لها انتكاب هذا الطريق للعيش المذل ، احدى القوادات ، وكانت هذه تتستر بادارة متجر لبيع الازياء ٠ وتبدأ ذروة المأساة عندما يقيم الرجل علاقة جنسية مع ابنة زوجته دون ان يفطن الى حقيقتها ٠ وعندما يعرف ذلك يحاول التكفير عن خطيئته بجمع شمل العائلة في منزله الذي يعيش فيه مع ابنه الوحيد ٠ لكن هذا الابن اخذ يسيء معاملة اخوته من امه بعدما اعتبرهم متطفلين عليه ٠ وعبثا حاولت الام تغيير سلوك ابنها هذا ازاء اخوته من سكرتير ابيه ٠٠

وتتعمق المأساة عندما تغرق الابنة الصغيرة في بركة المنزل ، ويقتل الابن الاصغر برصاصة انطلقت من مسدس كان يعبث به ، في حين تهرب الابنة الكبرى ، وهي مصابة بما يشبه اللوثة ٠

وتنتهي المسرحية عندما يصيح الممثلون : هل لقي الابن الاصغر مصرعه حقيقة ، ام ان المسألة عبارة عن تمثيل ؟

وبين الحيرة العالقة مابين الحقيقة والوهم ، يترك بيراندللو المشاهد عرضة لكابوس زاخر بالانفعالات النفسية ، جاءت تفجرا لكوامن النفس البشرية ، من تناقضات وتعقيدات شتى ٠

ان بيراندللو يسبر اعماق النفس البشرية حينما يخاطب المشاهد عبر ما تقوله مسرحيته : « مأساتنا عائدة لاحساسنا بان كلامنا يرى نفسه شبيها بالاخر ، رغم ان ذلك خطأ ، حيث لكل منا شخصيات متعددة متناقضة ، ونتوهم اننا نحيا في الوهم ، فيما نكون نحيا في الواقع » ٠

انها عقدة المأساة التي يحاول بيراندللو تبسيطها بتفسير مقبول ٠ وهي الفلسفة التي تؤطر معظم مسرحياته ٠ وبدون شك ، في هذه الاطر المسرحية شيء من حياة بيراندللو الخاصة ، كما ان فيها شيئا من بصمات زوجته المجنونة ٠

مسرح بيراندللو الطليعي يتمحور حول التناقض بيـــن الحياة والموت ، الحب والكراهية . والشـخصيات فيه تبدو عارية من كل اقنعتها ، تتنازعها العواطف الجياشة ، والغيرة العمياء والحقد والانحراف ثم الندم .

يفسر بيراندللو شيئا من اسلوبه في كتابة المسرح قائلا ان الحياة عبارة عن مسرح كبير ، والممثلون على خشبته انما يعبرون عما يجيش في صدور الناس .

ويضيف مستطردا : « اني ارى الحياة عبارة عن مسرح تتكشف فيه مأساة الانسان مع نفسه ومع الاخرين » . ويلخص مذهبه هذا في التأكيد على ان المسرح تقليد للحياة . وبكلمة اكثر وضوحا ، المسرح هو الحياة والتمثيل هو الحقيقة ، على اعتبار ان التمثيل هو في الواقع ، اكثر ابانـــة للاشيـــاء والافكار والبشر من الحقيقة نفسها ، بدليل ان الناس الذين خلقهم الله يفنون ، بينما الشخصيات التي خلقتها الدرامـا تبقى الى الابد . (١) وهذا رديف لما كان يقوله الكاتب فـي مجالسه الخاصة : « لا وجود للحقيقة المطلقة مادام التغيـر يعتري الكائنات بصورة لاارادية ، خارجة عن قدرتها ، فيمـا هذا التغيير يعتري الاشياء بشـكل ارادي ، خاضـع لقـدرة البشر . وبرأيه الوهم اكثر ثباتا على البقاء من الحقيقة

(1) Domenico Mogri « Storia della Letteratura Italiana » Società Editrice Internazionale - Torino 1964.

لان الشخصيات التي يولدها الخيال اكثر صدقا من البشـــر ، مادام هؤلاء يتغيرون وينتهون الى الزوال في عالم الفنـــاء الذي لا يستطيع ازالة الاعمال الفنية من الوجود . (١)

---

(١) المصدر السابق .

الجرة

نموذج من المسرح عند بيراندللو

شخصيات المسرحية ذات الفصل الواحد

دون لولو تسيرافا
زي ديما ليكازي
المحامي شيميه
مباري بيه (شاب)
تارارا
فيلبكو
فلاحان يعملان في جني محصول الزيتون في المزرعة

لانا تانا
او
(السيدة غايتانا)
تريسوتنسا
او
(تيريزينا)
كارمينيللا
فلاحات يعملن في جني محصول الزيتون ايضا

نوتشاريللو (ابن احد الفلاحين)
صاحب البغال

(مشهد من الريف في صقلية)

متسع من الارض تكسوه الحشائش امام بيت دون لــولــو تسيرافا المبني فوق رابية فيها اشــجار • تظهر الى الشــمال واجهة المبنى ذات النمط الريفي المؤلــف من طابــق واحــد باستثناء الطابق الارضي ، وفي الوســط باب مطلي باللون الاحمر لكنه الان باهت تقريبا ، وفوق الباب شرفة صغيرة • نوافذ الطابق الارضي ذات قضبــان حديدية • الــى جهــة اليمين تبدو شجرة زيتون هرمة من النوع المستورد من افريقيا حول جذعها اقيمت « مصطبة » بشكل غير متناسق • خلف الشجرة يهبط مستوى الارض ، ويبدو في نهايته ممر • فــي نهاية المشهد اشجار زيتون تعلو المنحدر •

الحوادث في شهر تشرين الاول •

ترفع الستارة فيظهر مباري بيه • يسمع من بعيد صوت غناء ريفي صادر عن نساء قادمات عبر الطريق اليمنى وهن يحملن سلالا ملأى بالزيتون على رؤوسهن وبأيديهن • يصيح

مباري بيه وهو واقف على المصطبة عند شجرة الزيتون ·

مباري بيه : اوه ، لقد فتحت ابواب الجحيم ! وانت ايضا ايها القزم · رويدكم يابناء ··· انتبهوا للحمولة ·

تيريزينا : ماخطبك يا مباري بيه ؟

السيدة غايتانا : هل تعلمت انت ايضا ، الشتائم ؟

مباري بيه : وهل المطلوب مني السكوت على هدركن الزيتون على الارض ؟

تيريزينا : هدر ؟ ان زيتونة واحدة لم تسقط مني ·

مباري بيه : لو بدا دون لولو من الشرفة الان لقضي علينا·

السيدة غايتانا : اننا نذهب في الصباح ونعود عنـــد المساء ، ومن يقوم بواجبه لا يخاف شيئا ·

مباري بيه : حقا ، خصوصا وانتن منهمكات في الغناء ·

كارمينيللا : اوه ، هل نمنع من الغناء ؟

السيدة غايتانا : وهل الشتائم وحدها مباحة لنا ؟ يبـدو انه وسيده يتراهنان على كيل الشتائم لنا ٠

تيريزينا : لست ادري عدم اصابة هذه الدار بصاعقـة تاتي عليها وعلى كل الاشجار من حولها ٠

مباري بيه : اخرسن ٠ اضبطن السنتكن البذيئة ، واذهبن فافرغن حمولتكن ٠ اياكن والاسترسال ٠٠

كارمينيللا : هل نتابع جني الزيتون ؟

مباري بيه : وهل المفروض ان تعملن نصف نهار وترفعن ايديكن ؟ الوقت لا يزال مبكرا ٠ امامكن متسع من الوقـت لقيامكن بدفعتين من نقل المحصول ٠ هيا اسرعن (يدفـع الفلاحات ومعهن نوتشاريللو الى الجهة اليسرى من الدار ، ويتابع النسوة الغناء وهي يغادرن المكان بتحد ، فيتجه مباري بيه صوب الشرفة ويصيح) :

ـ دون لولو ٠

دون لولو : (من داخل الطابق الارضـي) من ينادي ؟

مباري بيه : جاءت البغال بالحمولة ·

دون لولو : (يخرج بادي الحنق · وهو رجل في الاربعين من عمره ، عيناه شبيهتان بعيني الذئب · ويبـدو كثيـر الظن بالناس ، سريع الغضب · يعتمر قبعة عتيقة بيضاء اللـون ذات اطار عريض ، لا يرتدي سترة فـوق قميصـه القطنـي الخشن ذي الخطوط المربعة وذي اللون البنفسجي الذي يظهر منه صدر غزير الشعر · وهو مشمر الساعدين) :

ــ البغال ؟ في هذا الوقت ؟ اين هي ؟ الى اين تتجه ؟

مباري بيه : هناك · صاحب البغـال يسـأل ايـن يفـرغ الحمولة ؟

دون لولو : يفرغها ؟ من غير رؤية ماذا يحمل ؟ اني الان غير مستعد لذلك ، فلدي عمل مع المحامي ·

مباري بيه : اوه ، هل تتحدث معه بصدد الجرة الجديدة؟

دون لولو : (محملقا فيه) وما شأنك انت في هذا ؟

مباري بيه : كنت اقول فقط ··

دون لولو : لا تقل شيئا • اسمع فقط وطع • اريـــد ان اعرف منك السبب الذي حدا بك الى التفكير باني اتحـــدث والمحامي عن الجرة •

مباري بيه : الا تقدر كم ينتابني من ضيق وقلق لرؤيتـــي الجرة الجديدة وهي تنتصب في الدهليز • (يشير بيده نحو الجانب الايسر من المنزل) انقلها من مكانها هناك ، ارجوك•

دون لولو : (صارخا) كلا • قلت لك مائة مرة ستبقـــى هناك ، وحاذر من ان يلمسها احد •

مباري بيه : الناس قادمون وذاهبون ، نساء واولادا ، وهي في مكانها عند الباب !

دون لولو : عليك اللعنة •• هل انت مصمم على ان تذهـــب بعقلي ؟

مباري بيه : كما تشاء • ليرأف بنا الله •

دون لولو : اني منهمك مع المحامي فلا تورطنـــي فـــي ما يلهيني •• اين تريدني ان اضعها ، هذه الجرة ؟ في المستودع •• لايوجد مكان لها • يجب ان نفرغه من البراميل العتيقـــة ، والان ليس لدي متسع من الوقت للقيام بذلك •

صاحب البغال : اوه ، هيا يا ناس ، قولوا لي اين افرغ الحمولة ؟

دون لولو : وهذا آخر ! ليصرعك الله انت وبغالك٠ ألم يطب لك المجيء الا في هذه الساعة ؟

صاحب البغال : لم اتمكن من المجيء قبل هذا الوقت ٠

دون لولو : اني لا احب استخدام اناس كسالى مثلك ٠ هل تجهل ان واجبك هو نقل حمولتك ووضعها هنا في الاماكن التي اعينها لك ؟ لقد تأخر الوقت الان لذلك ٠

صاحب البغال : يا لهذه الادارة ! سوف افرغ الحمولة وراء الجدار وامضي ٠ استودعكم الله ٠

دون لولو : حذار ان تحاول ذلك ٠ افعل ذلك ان كنت رجلا ، هيا ٠٠ حاول !

صاحب البغال : سترى ، على الفور ! (يرحل غاضبا)
مباري بيه : (يستوقفه) صبرك ايها الرجل ٠ لا تغضب

دون لولو : دعه يرحل ، اتركه وشأنه ٠

صاحب البغال : اذا كان هو متوتر المزاج فانا اكثر منه توترا • عبثا ، كل مرة تحصل مشادة بيننا •

دون لولو : انتبه حاذر على نفسك مني ايها الرجل • انظر (يخرج من جيبه كتاب مجلد (احمر اللون) اتعرف هذا ؟ انه القانون المدني زودني المحامي به ، انه ينزل ضيفا علي ، في الاجازة • هذا الكتاب ، اذكر كل تفاصيله • ان احدا لن يخدعني بعد اليوم ؟ ففيه كل شيء • لم يترك اي قضية صغيرة كانت ام كبيرة الا وافاض فيها شرحا • والمحامي موجود عندي • انه يتقاضى اجرا سنويا •

مباري بيه : هذا هو !

(يخرج المحامي شيميه من باب المنزل ، وهو يعتمر قبعة من القش وفي يده صحيفة)

شيميه : ما هنالك يا دون لولو ؟

دون لولو : هذا الجاهل يا استاذ ، جاء عند حلول الظلام بالبغال ومعه الحمولة • وبدلا من الاعتذار عن تأخره ••

صاحب البغال : (يحاول مقاطعته وهو يتحدث مع المحامي) لم اتمكن من المجيء قبل هذا الوقت • لقد قلت له •

دون لولو : (مواصلا كلامه) لقد هددني ٠

صاحب البغال : انا هددتك ؟ هذا ليس صحيحا !

دون لولو : اجل لقد هددتني برمي الحمولة خلف الجدار

صاحب البغال : نعم ، لانك ٠٠

دون لولو : لاني ماذا ؟ لاني اريد عملا مضبوطا ٠ اريدك ان تفرغ الحمولة في مكانها بالترتيب ، اكواما متشابهة ٠

صاحب البغال : هيا بنا ٠ تكلم ٠ هناك ساعتان قبل مغيب الشمس ياسيدي الاستاذ ٠

دون لولو : اوه ، اترك المحامي وشأنه ٠ انه ها هنا من اجلي انا وليس من اجلك انت ٠ لا تهتم به يا استاذ ٠ هيا ، تفضل ٠ قم برياضتك المعتادة كل يوم ، او استرح تحت شجرة التوت وطالع صحيفتك بهدؤ ٠ سأوافيك بعد فترة ٠ لنواصل حديثنا عن الجرة الجديدة ٠ (يتجه الى صحاب البغال) هيا ، اسرع ، كم بغلا لديك ؟ (يسير مع صاحب البغال باتجاه الناحية اليمنى)

صاحب البغال : (يمشي وراءه) لقد اتفقنا على اثني عشر بغلا وجئت باثني عشر ٠ (يختفي مع دون لولو خلف البيت)

شيميه : (يحرك يديه اشارة ارتياح) اوه ، الهرب ، الهرب• غدا في الفجر ، سأرحل الى بلدي رأسا • لقد فلق رأسي •

مباري بيه : انه لا يعتق احدا • افضل ما قمت به ايها الاستاذ ، هو انك زودته بالكتاب الاحمر ! كان قبلا عندما يختلف مع اي كان لاتفه الاسباب ، يصيح : « اسرجوا البغل » !

شيميه : اجل ، كي يسرع الى المدينة ويحضر الى مكتبي ويضج برأسي • لذلك زودته بمجموعة القوانين ، يحتفظ بها في جيبه ويرجع اليها عند الحاجة ، وهكذا يدعني في سلام • انه ، حالما عرف ان الطبيب نصحني بالاخلاد الى الراحة في الريف بضعة ايام ، قام باصطيادي ، والح كثيرا الى ان قبلت في النزول ضيفا عنده • لكني اشترطت عليه الا يحدثني في اي امر • ومع هذا ، فقد انصرمت خمسة ايام وهو يحشو رأسي بالحديث عن الجرة ، ولا ادري اي جرة يعني •

مباري بيه : انها الجرة الجديدة • الجرة الكبيرة المخصصة لتخزين الزيت • لقد وصلت منذ قليل من المصنع القائم في ساحل القديس ستيفانو • انها جرة جميلة كبيرة ، بطول الرجل ، وبدون شك حصلت مشادة بينه وبين المصنع والصانع الذي صنعها •

شيميه : لا شك في ذلك ، لانها كلفته ست ليرات • وكان يأمل ان تكون اكبر مما هي عليه •

مباري بيه : (مندهشا) اكبر مما هي عليه •

شيميه : لقد ظل يتحدث بهذا الشأن طوال الايام الخمسة التي قضيتها هنا • (يتجه الى الممر القائم في الناحية اليمنى) اواه • صباح غد ، سأركن الى الهرب ، الهرب (يختفي في الممر) (تسمع مناداة زي ديما ليكازي بطريقة منغمة كما ينادي الباعة المتجولون على بضائعهم ، آتية من الداخل من ناحية السهل البعيد) •

ـ اصلح الفخار وادوات الخزف المكسورة • اصلح الادوات البلورية •

(يظهر في الممر من الناحية اليمنى تارارا وفيليكو وهما يحملان على كتفيهما سلما خشبيا وعصا طويلة) •

مباري بيه : ماذا ؟ هل انتهيتما من جني المحصول ؟

فيليكو : انها ارادة السيد ، عندما مر بنا مع صاحب البغال •

مباري بيه : هل طلب منكما الانصراف ؟

تارارا : كلا ، قال لنا : انتظرا • فلديه عمل في المستودع •

مباري بيه : هل طلب منكما ازالة البراميل العتيقة ؟

فيليكو : نعم ، هذا ما طلبه منا بالضبط • وذلك لكي يفسح مجالا للجرة الجديدة •

مباري بيه : اوه ، حسنا ، شكرا لله ، لقد سمع كلامي مرة واحدة في حياته • تعالا معي ، تعالا • (يتجه مع الرجلين نحو الجهة اليسرى وتظهر تيريزينا والسيدة غايتانا وكارمينيللا من وراء المنزل وهن يحملن السلال الفارغة) •

السيدة غايتانا : (متجهة الى الفلاحين اللذين كانا يقومان بجني الزيتون) اوه ، لقد انتهيتما من الجني ؟

مباري بيه : هذا النهار فقط •

تيريزينا : ونحن ، ماذا نفعل ؟

مباري بيه : انتظرن حتى يجيء السيد ، فهو صاحب الامر •

كارمينيللا : هكذا ، وايدينا فارغة ؟

مباري بيه : ماذا اقول لكن ؟ اذهبن الى المستودع وافرزن الزيتون ٠

السيدة غايتانا : اوه ، لن نفعل ذلك دون ان نتلقى منـــه امرا ٠

مباري بيه : حسنا ، لتسأله واحدة منكن ٠

(يمضي باتجاه الشمال مع تارارا وفيليكو) ٠

كارمينيللا : امض ، امض انت يا نوتشاريللو ٠

السيدة غايتانا : قل له ان الرجال انتهوا من جني المحصول ، والنساء يسألن ماذا يفعلن ٠

تيريزينا : اسأله ان كان يريدنا ان نقوم بفرز الزيتون ٠ قل له ذلك ٠

نوتشاريللو : حسنا ٠

كارمينيللا : هيا امض ٠

(يجري نوتشاريللو الى الناحية اليمنى باتجاه المر • يعود الى المسرح من الناحية اليسرى الواحد تلو الاخر ، كل من : فيليكو ، تارارا ومباري بيه ، وهم مذعورون وايديهم تتحرك في الهواء) •

فيليكو: يا مريم العذراء ، انظري الينا •

تارارا : لقد تبخر دمي •

مباري بيه : انه العقاب من السماء •

النسوة : (بصوت واحد وهن يلتفتن الى الرجال)ماذا حدث ؟ ماذا بكم ؟

مباري بيه : الجرة ! الجرة الجديدة !

تارارا : مكسورة !

النسوة : (بصوت واحد) الجرة ؟ هل هذا صحيح ؟ رباه !

فيليكو : انها مكسورة نصفين ، كأن احدا قد انهال عليها بالفأس •

السيدة غايتانا : هذا محال !

تيريزينا : ان احدا لم يلمسها ٠

كارمينيللا : لا احد ابدا ! ومن ذا الذي يجرؤ الان على اعلام دون لولو بذلك ؟

تيريزينا : سيتصرف كالمجنون ٠

فيليكو : انا من ناحيتي ، سأترك كل شيء واهرب ٠

تارارا : ماذا ؟ تهرب ؟ انك مجنون ! ومن يقنعه باننا غير مسؤولين عما حدث ؟ قفوا جميعا في اماكنكم ٠ وانت (مخاطبا مباري بيه) اذهب واستدعه ٠ لا ، لا ٠ استدعه من هنا ٠ اصرخ له ٠

مباري بيه : (يقف على المقعد قرب شجرة الزيتون) اجل ، من هنا (يصيح مناديا عدة مرات واضعا احدى يديه حول فمه) دون لولو ! دون لولو ! انه لا يسمع لانه يصرخ كالمجنون وراء صاحب البغال ٠ دون لولو ٠٠ عبثا ، سأمضي اليه ٠

تارارا : لكن ارجوك ، لا تتهمنا ٠

مباري بيه : اطمئنوا ، ان ضميري لا يقبل بان توجه اليكم

التهمة (يمضي في الممر راكضا) ٠

تارارا : اسمعوا ، لنتفق كلنا على كلمة واحدة ، صمموا عليها واحفظوها في رؤوسكم : الجرة كسرت من تلقاء نفسها ٠

السيدة غايتانا : لقد حصل ذلك مرارا عديدة ٠

تيريزينا : بالفعل ، ان جرارا جديدة كثيرة كسرت من تلقاء نفسها ٠

فيليكو : يحدث ذلك في حالات كثيرة ٠ هل تعرفون كيف يحدث ذلك ؟ عندما تكون في الفرن ، تدخل فيها شرارة وتحدث فقاعة ٠ وعندما تبرد ، تفرقع دفعة واحدة ٠

كارمينيللا : هكذا تماما ، كأن رصاصة اطلقت فيها ٠ (ترسم علامة الصليب) لينجنا الله (تسمع من الداخل الى الناحية اليمنى صوتي دون لولو ومباري بيه) ٠

صوت دون لولو : يجب ان تعرف من هو المتسبب بذلك ٠

صوت مباري بيه : لا احد ٠ اقسم لك ان لا احد تسبب بذلك ٠

تيريزينا : هاهو ! ها هو !

(يظهر في الممر دون لولو وهو شاحب الوجه حانقا يسير وراءه مباري بيه ونوتشاريللو)

دون لولو : (يهجم اولا على تارارا ثم على فيليكو ويمسك بتلابيبهما) انت المسبب ؟ من المسبب ؟ احدكما · واحد منكما · انتما الاثنان · لا بد انه احدكما · والله سوف تدفعان الثمن ·

تارارا وفيليكو : (بصوت واحد يحاولان التخلص من قبضته) انا ؟ انك مجنون ! اتركني · ابعد يديك عني والا ··

النسوة ومباري بيه : (في صوت واحد) انكسرت من تلقاء نفسها ، ان احدا منا لم يلمسها · لقد وجدناها مكسورة · نقول لك اننا وجدناها مكسورة !

دون لولو : (تارة يرد على واحدة وتارة على اخرى وطورا على مباري بيه) اوه ، انا مجنون ؟ جميعكم ابرياء ! انكسرت من تلقاء نفسها · والله لسوف تدفعون الثمن جميعا · هيا اذهبوا واحضروها ها هنا · (يذهب مباري بيه وتارارا وفيليكو لاحضار الجرة) في الضوء سيظهر اذا كان فيها خدش او ضربة ، وان ظهر فيها اي شيء من هذا القبيل ، سأقتلكم واشرب من دمائكم · كلكم ستدفعون الثمن ، رجالا ونساء ·

النسوة : (بصوت واحد) ماذا ؟ نحن ؟ انك تخرف · تريد

ان تزج بنا نحن ايضا في هذه القضية ؟ اننا لم نشاهدها بعد بعيوننا ٠

دون لولو : لقد دخلتن الى الدهليز وخرجتن منه ايضا ٠

تيريزينا : اجل ، لقد كسرنا الجرة ٠ شرخناها هكذا بالثوب (تمسك طرف ثوبها بأحدى يديها وتتظاهر بشيء من الاغراء انها تضرب احدى ساقيها بطرف ثوبها ٠ يعود في الوقت نفسه مباري بيه وتارارا وفيليكو الى المسرح من الناحية اليسرى وهم يجمعون الجرة المكسورة) ٠

السيدة غايتانا : اوه ، انظروا ، يا للخسارة !

دون لولو : (يولول كما لو انه يندب ميتا من اسرته) الجرة الجديدة ! ست ليرات ! اين اخزن زيت هذه السنة ؟ اواه يا جرتي الجميلة ! لقد اصابتك عين شريرة او ان شريرا اصابك بسوء ٠ ست ليرات قد تبخرت ٠ ومحصول هذه السنة جيد ٠ أوه يا الهي ، لماذا ؟ ما العمل ؟

تارارا : لا ، اسمع ٠

فيليكو : بالامكان اصلاحها ٠

مباري بيه : الشرخ ليس كبيرا ٠

تارارا : انه شرخ صغير ٠

فيليكو : وغير متشعب ٠

تارارا : ربما كانت بهذه الحال في الاساس !

دون لولو : كيف تكون مشروخة في الاساس ؟ انها كانت ترن كالجرس ٠

مباري بيه : هذا صحيح ، لقد اخترتها بنفسي ٠

فيليكو : بالامكان ان تعود كأنها جديدة ٠ اسمعنـــي ، ان صانع جرار ماهــرا يعيدها كما كانت ٠ ولن يظهــر اي اثــر للتطيين ٠

تارارا : نادوا زي ديما ، زي ديما ليكازي ! لا بد ان يكون في مكان قريب ، لقد سمعته ينادي ٠

السيدة غايتانا : انه ماهر ، وعمله لا غبار عليه ٠ لذيـــه معجون سحري ، اذا استعمله لا يؤثر فيها حتى المطرقة ٠ هيا امض يا نوتشاريللو ، تعثر عليه في مكان قريب ٠ إنه في درب « الموسكا » ٠ اذهب واتي به ٠ (يعدو نوتشاريللو مسرعا من الناحية اليسرى) ٠

دون لولو : اخرسوا ٠ لقد تسببتم في اصابتي بالجنون ٠

اني لا أؤمن بهذه المعجزات · لقد خسرت الجرة وانتهى كل شيء ·

مباري بيه : اوه ، الم اقل لك منذ البداية ؟

دون لولو : (غاضبا) ماذا قلت لي ايها الغبي ؟ الم تقل ان الجرة كسرت من تلقاء نفسها ، دون ان يلمسها احد ؟ فلو حفظناها في اي مخبأ لكان من المقدر ان تنكسر ، طالما انها انكسرت من تلقاء نفسها كما تقول ·

تارارا : بالضبط ، لا تتكلم بسخافات ·

دون لولو : هذا الغبي يزعجني بكلامه ·

فيليكو : سترى ان الجرة ستصلح بقروش قليلة ·

دون لولو : يا للمصيبة · البغال وسط الطريق بحمولتها · (يتحدث مع مباري بيه) ماذا تفعل هنا ؟ واقفا مبهورا بجمالي ؟ امض ، وراقب ما يجري على الاقل · (يذهب مباري بيه عن طريق الممر) · اوه ، رأسي يحترق ، رأسي يحترق ، لازي ديما ولا غيره · المحامي ، المحامي · الحل عند المحامي ، اذا كانت قد كسرت من تلقاء نفسها فذلك يعني ان فيها غشا بصناعتها · ولكن كان لها رنين كالجرس عندما تسلمتها ·

واعتقدت انها سليمة • ست ليرات ضاعت سدى • (يظهر زي ديما من الناحية اليسرى يتبعه نوتشاريللو) •

فيليكو : اوه ، هاهو زي ديما !

تارارا : (يهمس بأذن دون لولو) انتبه اليه ، فهو لا يتكلم كثيرا •

السيدة غايتانا : (توجه كلامها لدون لولو بصوت خفيض) انه قليل الكلام جدا •

دون لولو : اوه ، هكذا اذن !

(يتوجه الى زي ديما) ولا تحيي الناس عندما تلتقيهم ؟

زي ديما : انت بحاجة للعمل ام للتحية ؟ اعتقد انك تحتاج الى العمل ، اخبرني ، ما انت بحاجة اليه وانا اؤمنه لك •

دون لولو : اذا كان كلامك ثمينا بهذا الشكل فالافضل ان تقتصد بالنسبة للاخرين • (يشير الى الجرة) الا تعرف ماذا ينبغي لك ان تفعله ؟

فيليكو : عليك ان تطين هذه الجرة الجميلة بمعجونك يا زي ديما •

دون لولو : يقال انه ذو مفعول سحري ، فهل ركبته بنفسك ؟ (يتطلع اليه زي ديما دون ان يجيب ويبدو كأنه منزعج) اوه، هيا تكلم ودعني اشاهده ٠

تارارا : (بصوت خفيض موجها كلامه لدون لولو) حاذر من معاملته بهذا الاسلوب، كيلا يحجم عن تزويدك بالمساعدة ٠

السيدة غايتانا : (بصوت خفيض موجهة كلامها لدون لولو) انه لا يدع احدا يشاهد معجونة اذ انه يخشى ان يكتشف سره ٠

دون لولو : وما هو هذا السر ؟ هل هو طلسم ؟ (يتوجه الى زي ديما) قل لي ، هل تعتقد ان الجرة ستصبح صالحة للاستعمال بعد اصلاحها ؟

زي ديما : (وضع صندوقه على الارض واخرج منه منديلا عتيقا ازرق اللون معقودا عدة مرات) هذا لن يتم بدون اجراء الفحص ٠ انني لا احكم على اي شيء بمجرد الاعتقاد ٠ فالمعاينة اولا ٠ اعطني متسعا من الوقت ٠ (يقتعد الارض ويفتح المنديل ببطء وحذر فيما يحملق الجميع فيه بانتباه وبشيء من الفضول) ٠

السيدة غايتانا : (بصوت خفيض ايضا وتتكلم مع دون

لولو) سوف يخرج المعجون ٠

دون لولو : اشعر ان روحي هي التي سوف تخرج من هنا (مشيرا الى صدره ثم الى فمه) ٠

الجميع : (يضحكون عندما يكتشفون انه اخرج من المنديل نظارتيه العتيقتين والموثوقتين بخيط من الحرير) اوه ، النظارتان ! كنا ننتظر شيئا اخر ٠ اعتقدنا انه المعجون٠ ان نظارتيه تشبهان اللجام ، تشبهان الكمامة !

دون لولو : لفظت المحكمة حكمها ٠ لكن اصغ ٠٠ مهما قالوا عن معجونك ، فاني غير واثق مما يقولون ٠ (يلتفت اليه زي ديما ويعيد المنديل والنظارتين الى الصندوق بصمت وهو بادي الغضب ، ثم يغلقه ويرفعه على كتفه بقصد الانصراف) اوه ، ماذا تفعل ؟

زي ديما : اني منصرف ٠ استودعكم الله ٠

دون لولو : اهكذا تتصرف ايها الخنزير ؟

فيليكو : (يستوقفه) رويدك ، ارجوك ، قليلا من الصبر ٠

تارارا : (يستوقفه بدوره) نفذ ما يطلبه منك السيد ٠

دون لولو : انظروا كم هو متعجرف ، كأنه شارلمان · ايها البائس · ايها الحمار · ان الجرة مصنوعة لتخزين الزيت ، وهي ترشح زيتا · هل تبغي تطيين الجـرة بالمعجـون فقط ؟ يجب ان تستعمل الحشو ايضا ·

زي ديما : انكم جهلة · كلكم متشابهون · انكم تمنعونـي من القيام بعمل جيد فيه تقنية ·

دون لولو : قلت لك كلا · فالمعجون وحده لا يكفي · اني غير مقتنع بذلك ·

زي ديما : دعني اعمل كما اريد · (يقترب من دون لولو) اتركني افعل · سيصبح لهذه الجرة رنين مثل رنين الجرس ، بواسطة المعجون فقط ·

دون لولو : قلت لك كلا · المعجون وحـده لا يكفي · اني غير مقتنع (مخاطبا تارارا) انه لا يتكلم · (يتوجه الى زي ديمـا) كـل محـاولاتك للترويـج لمعجونـك لا تنفـع · وطالما الجميع يريدون الحشو ، غير مقتنعين بالمعجون فقط ، فهذا هو الرأي الثاقب ·

زي ديما : اي رأي هذا ؟ انه صادر عن جهل ·

السيدة غاتيانا : ورأيي انا ايضا كذلك ، ربما كان صادرا

عن جهل • لكن يبدو لي ان المعجون وحده لا يكفـــــي ، وان الحشو ضروري •

تيريزينا : طبعا الحشو يساعد على التحام الشرخ •

زي ديما : والثقوب ! كل عملية حشو واحدة تحتاج لثقبين• عشرون حشوة تتطلب اربعين ثقبا ، بينما المعجون لا يتطلب اي ثقب •

دون لولو : انه متبلد الذهن ودماغه كدماغ البغل • اثقب ايها الرجل • اني امرك بهذا ، فانا السيد هنا • اثقب (يتوجه الى النسوة مخاطبا) هيا ، اذهبن انتن الى المستودع لتفريغ الزيتون •

(ثم يتوجه الى الرجال) وانتم الى الدهليز • ازيلـــــوا البراميل العتيقة • هيا (يدفعهم باتجاه البيت) •

زي ديما : اوه ، تريث •

دون لولو : عندما تنتهي من عملك نتفق على الاجر • فالان لا وقت عندي لاضيعه معك •

زي ديما : اتتركني هنا بمفردي ؟ اني بحاجة لمن يساعدني على سد الثقوب ، فالجرة كبيرة •

دون لولو : اوه ، حسنا (يخاطب تارارا) ابـــق انت ها هنا (ثم يخاطب فيليكو) وانت تعال معي (يخرج مــــع فيليكو فيما كانت النسوة قد خرجن قبلهما) ٠

بدأ زي ديما العمل على الفور وكان يبدو مضطربا ٠ يخرج المثقاب من الصندوق ويبدأ في ثقب الجـــرة في الجـانب المكسور ٠

تارارا : اني غير مصدق لما ارى ٠ لقد ظننت انـك لـن ترضخ لطلبه٠ هيا دعك من الحنق يا زي ديما٠ لا تهم ، الثقوب عشرون ثلاثون (ينظر اليه زي ديما شزرا) اكثر ؟ لتكـن خمسة وثلاثين ! (يعيد زي ديما النظر اليه بشزر) كم اذن ؟

زي ديما : اترى ابرة المثقب هذه ، هل ترى كيف احركها ٠ اشعر كمن يثقب قلبه ٠

تارارا : قل لي ، ارجوك ، هل طريقة تحضير المعجـــون اتتك في الرؤيا حقا ؟

زي ديما : (مواصلا العمل) اجل ٠ في الرؤيا ٠

تارارا : وماذا شاهدت في الرؤيا ؟

زي ديما : شاهدت ابي ٠

تارارا : اوه ، ابوك ظهر لك في الرؤيا وعلمك طريقة اعداده ؟

زي ديما : ايها الغبي ٠

تارارا : انا غبي ؟ لماذا ؟

زي ديما : اتعرف من هو ابي ؟

تارارا : ومن هو ؟

زي ديما : انه كبير الجان ٠

تارارا : اوه ، انت اذن ابن الجان !

زي ديما : والمعجون الذي في الصندوق لصقة تلصق بكم كلكم ٠

تارارا : اوه ، لصقة سوداء ٠

زي ديما : كلا ، انها بيضاء ٠ لقد علمني ابي طريقة تحضيرها باللون الابيض ٠ انكم ستعرفون قيمتها عندما تتلطخون برغامها ٠ انك اذا لصقت اصبعيك بها فلن تتمكن

من فصلهما عن بعضهما ابدا • واذا لصقت شفتك بأنفك ، فستغدو كالقرد طيلة عمرك •

تارارا : كيف تستعملها وهي على هذا القدر من الضرر ؟

زي ديما : ايها الابله • هل عض الكلب سيده مرة ؟ (يلقي بالمثقب وينتصب واقفا) والان تقدم مني ، تعال الى ها هنا • (يطلب منه سد الثغرة التي ثقبها بيده ثم يخرج من الصندوق علبة ويفتحها ويأخذ منها بعضا من المعجون بأصبعه) انظر ، هل يبدو لك هذا المعجون مثل غيره ؟ انظر (يضع شيئا من المعجون على الشرخ) بأصبعين او ثلاثة ، هكذا •• اكاد لا اتمكن •• امسك جيدا • سوف ادخل الى داخل الجرة •

تارارا : أوه ، من الداخل ؟

زي ديما : لا مندوحة من ذلك • لا بد ان اسد الثغرة ، من الضروري ان اسدها من الداخل • انتظر • (يبحث في الصندوق) اني بحاجة لقطعة من السلك وكماشة •

(يأخذ السلك والكماشة ويلج الجرة) اوه ، انتظر حتى اضبط وضعي في داخلها • (يطل برأسه من الجرة) والان اجذب جيدا • اجذب بكل طاقتك • هل ترى ذلك ؟ هل من الممكن ان تلتحم بشكل افضل من ذلك • ان مائة ثور لا تستطيع ان تفك تطيينها ، امض ، اخبر سيدك •

تارارا : اعذرني يا زي ديما · هل انت متأكد من انــــك تستطيع الخروج من الجرة الان ؟

زي ديما : طبعا · لقد خرجت من كل الجرار من قبل ·

تارارا : لكن هذه ، يبدو لي ان فتحتها ضيقة بالنسبة لك· جرب اولا !

(يعود مباري بيه من الممر في الناحية اليمنى) ·

مباري‌بيه : اوه ، ماذا يجري ؟ الا يتمكن من الخروج ؟

تارارا : (يتكلم مع زي ديما داخل الجرة) تريث ، انتظر ·

مباري بيه : اخرج ذراعيك اولا ·

تارارا : كلا ، الذراع ؟

زي ديما : ماذا جرى ؟ ماذا حدث يا ربي ؟ أني لا استطيع الخروج ·

مباري بيه : قعرها واسع لكن فتحتها ضيقة ·

تارارا : شـــيء عجيـــب ، انه لامر مضحـــك · لا يمكـــن الخروج منها بعد اصلاحها (يضحك) ·

زي ديما : اوه ، انك تضحك اذن ! ايهـــــا الرب اغثني (يحاول النهوض بكل قوته) ٠

مباري بيه : انتبه ، لا تفعل ذلك ، ربما اذا اوقفناها علــى جانبها ٠

زي ديما : كلا ، على العكس من ذلك ٠ الكتفان تحــولان دون خروجي منهــا ٠

تارارا : حقا ، فأنت محدودب الظهر نوعا ما ٠

زي ديما : انا ؟ اذن العيب في ؟ انت نفسك قلت ان الجرة ذات فتحة ضيقة ؟

مباري بيه : ماذا نفعل الان ؟

تارارا : اوه ، انه لشيء عجيب (يضحك ثم يهرول باتجاه البيت وهو يصيح) فيليكو ، السيدة غايتانــــا ، تيريزينا ، كارمينيللا ، تعالوا تعالوا ، الى ها هنا ، فزي ديما لا يتمكن من مغادرة الجرة !

يحضر كل من فيليكو والسيدة غايتانا وكارمينيللا وتيريزينا ونوتشاريللو من الناحية اليمنى) ٠

النسوة ونوتشاريللو : (يضحكــــون بصخب ويصفقــون

بأيديهم) في داخل الجرة ؟ يا للشيء الغريب ! كيف حدث ذلك ؟ الا يتمكن من الخروج ؟

زي ديما : (مثل الهر البري) اخرجوني من هنا ! هاتوا المطرقة من الصندوق ٠

مباري بيه : اية مطرقة ؟ هل جننت ؟ علينا باعلام السيد عما حدث ٠

فيليكو : ها هو ، لقد اتى ٠

النسوة : (يحضر دون لولو مسرعا من الناحية اليمنى) (يذهبن اليه) لقد حبس زي ديما داخل الجرة ! لم يعد قادرا على الخروج منها ٠

دون لولو : داخل الجرة ؟

زي ديما : (النجدة ، النجدة !)

دون لولو : اية نجدة نستطيع ان نؤديها لك ايها الكهل الخرف ، لماذا لم تنتبه الى سنامك (يضحك الجميع) قبل ولوجك فيها ؟

السيدة غايتانا : انظروا ماذا دهاه ! يا لزي ديما البائس!

دون لولو : تريث ، رويك ، حاول اخراج ذراعك ٠

مباري بيه : عبثا ، لقد جرب كل الطرق ٠

زي ديما : (أخرج ذراعه بعد جهد) رويدك ، انك تخلـــع ذراعي !

دون لولو : صبرا ٠حاول ٠٠

زي ديما : كلا ٠٠ دعني ٠٠

دون لولو : وما الذي تريدني ان افعله ؟

زي ديما : تناول المطرقة واكسر الجرة !

دون لولو : ماذا ؟ اكسر الجرة بعد ان اصلحتها ؟

زي ديما : وهل تبغي حبسي فيها ؟

دون لولو : تريث ٠ لنفكر بماذا نفعل ٠

زي ديما : وما بوسعك ان تفعله ؟ اني اريـــد الخـــروج ٠ اريد الخروج ٠

النسوة : (بصوت واحد) هذا من حقه ٠ محال ان نتركـــه

في داخل الجرة • الا توجد طريقة لاخراجه منها ؟

دون لولو : ان دماغي يلتهب • اسكتوا • هذا وضع فريد • ان احدا قبله لم يحدث له ذلك • (يوجه كلامه الى نوتشاريللو) الى هنا ايها الغلام • كلا ، امض انت يا فيليكو • اذهب الى تلك الجهة •يشير الى الممر في الجهة اليمنى ، المحامي يجلس تحت شجرة التوت • اطلب منه الحضور على الفور (يمضي فيليكو ويتكلم دون لولو مع زي ديما الذي يحاول عبثا الخروج من الجرة) لا تتحرك • اثبت في مكانك (يكلم الاخرين) امسكوا به • هذه ليست جرة • انها الشيطان بنفسه (يتحدث مع زي ديما الذي يحرك الجرة وهو بداخلها كثير الاضطراب) قلت لك لا تتحرك •

زي ديما : اذا لم تكسرها انت ، فلسوف اوقعها انا واكسرها • اريد الخروج ! اريد الخروج !

دون لولو : لننتظر المحامي حتى يشير الينا برأيه في هذه الحالة الغريبة • وبالنسبة لي ، فاني اطالب بحقوقي في الجرة ، واقوم بدفع ما يتوجب علي في نفس الوقت (يخرج من جيبه حافظة نقوده العتيقة المصنوعة من الجلد والمربوطة بخيط ، ثم يتناول منها ورقة نقدية من فئة عشرة قروش ، اشهدوا كلكم ، ها هي عشرة قروش ، اجرتك !

زي ديما : اني لا اريد سوى الخروج من الجرة !

دون لولو : سوف نخرجك بالطريقة التي يشير بها الينـــا المحامي ٠ اما بالنسبة لي ، فاني انقدك اجرك ٠ (يرفع الورقة النقدية بيده الى اعلى ويلقيها في الجرة ٠ فيظهر من الممر الى الجهة اليمنى المحامي وهو يضحك ووراءه فيليكو) ما هـــو سبب ضكك (متوجها بكلامه للمحامي) انك لا تبـدي اهتماما على كل حال ، فالجرة لي انا ؟

شيميه : (لا يستطيع منع نفسه من الضحك ، فيضحـــك الجميع) تريد ابقاءه فيها ؟ اوه ، اوه ، تبقيه فيهـــا كيـــلا تخسرها !

دون لولو : اوه ، وهل ترى ان اتحمل انا النتيجة ؟

شيميه : اتعرف ماذا يصف القانون هذه الحالـــة ؟ انهـــا تسمى تقييد حرية الفرد ٠٠ الحجر عليه !

دون لولو : ومن الذي حجر عليه ؟ انه هو الذي حجر على نفسه ، فما ذنبي انا ؟ (يتكلم مع زي ديما) من حبسك فـــي الجرة ٠ ؟ اخرج ٠٠

زي ديما : حاول اخراجي انت اذا كنت قادرا على ذلك ٠

دون لولو : وهل انا الذي ادخلتك فيها حتى اخرجك منها ؟

انت ادخلت نفسك ، فاخرج بنفسك !

شيميه : ايها السادة ، هل تأذنون لي بالكلام ؟

تارارا : المحامي يتكلم !

شيميه : المسألة لها وجهان· وعليكم الوصول الى رأي فيها· اسمعوا (يوجه كلامه اولا الى دون لولو) بالنسبة لك يا دون لولو ، يجب ان تطلق زي ديما في الحال ·

دون لولو : وكيف ذلك ؟ وهل يعني هذا ان اكسر جرتي ·

شيميه : تريث · هناك الجانب الاخر للمسألة · اتركني انهي كلامي · يجب اطلاقه حتى لا ينال منك القانون بحجزك على حرية الفرد · (يوجه كلامه الى زي ديما) وانت ايضا يازي ديما مسؤول عما سببته من ضرر ، بدخولك الجرة دون ان تنتبه الى استحالة خروجك منها ·

زي ديما : ياحضرة المحامي · اني لم انتبه لذلك كوني امارس هذه المهنة منذ سنين طويلة · لقد طينت الوف الجرار · كنت اطينها كلها من الداخل حيث اثقب واحشو كما تقتضي

الصناعة . ولم يحدث لي مرة ان عجزت عن الخروج من اي جرة كما يحدث لي الان . وعليه هو (مشيرا الى دون لولو) بمقاضاة المصنع الذيصنعها بفتحة صغيرة . فلست ملوما انا .

دون لولو : والسنام الذي تحمله على ظهرك ويمنع خروجك، هل هو من انتاج المصنع ؟ بالطبع يا حضرة المحامي ، فالقاضي حينما يرى سنامه سيضحك عليه ويحكم لصالحي .

زي ديما : هذا غير صحيح . فقد دخلت بسنامي هذا وخرجت من فتحات كل الجرار الاخرى ، كمن يدخل ويخرج من باب بيته .

شيميه : انه قول ليس صحيحا يا زي ديما . فكر جيدا . كان متوجبا عليك قياس الفتحة قبل ان تلجها لتتأكد من امكان خروجك او استحالة ذلك .

دون لولو : وعلى هذا ينبغي له ان يدفع لي ثمن الجرة ..

زي ديما : ماذا تقول ؟

شيميه : رويدك ، ثمن الجرة بصفتها جديدة ؟

دون لولو : طبعا . ولم لا ؟

شيميه : لان الجرة كانت مكسورة في الواقع • اليس كذلك؟

زي ديما : لقد طينتها بنفسي •

دون لولو : طينتها بنفسك •اذن فهي سليمة وليست مكسورة واذا كسرتها انا الان لاخرجك منها فلن يغدو بالامكان اصلاحها مجددا • واخسر الجرة الى الابد • اليس هكذا يا حضـــرة المحامي ؟

شـــيميه : ولذلـك قلـت ان زي ديمـا مسـؤول بـدوره : لاشرح لكم المسألة •

دون لولو : تفضل ، اشرح ••

شيميه : اسمع يا زي ديما • اما ان يكون معجونك مفيدا ، او انه غير مفيد •

دون لولو : (تظهر على وجهه علامات الارتياح ويوجـــه كلامه الى الحاضرين) انتبهوا ، سوف يدخله في الفخ علـــى الفور ، ومادام قد بدأ كلامه هكذا ، فقد انتهى صاحبنا !

شيميه : (متابعا الكلام مع زي ديما) فاذا كان معجونـك عديم النفع ، فانت محتال • واذا كان نافعا فالجرة ، حتـــى

وهي بحالتها الان ، ذات قيمة · انت تقدر قيمتها ·

زي ديما : وانا في داخلها ؟

شيميه : بدون مزاح · في حالتها الان ·

زي ديما : اسمع ردي · لو كان دون لولو قد تركني اطينها بواسطة المعجون فقط ، كما كنت اريد ، ما كنت انا هنا الان بداخلها · وكان بوسعي اصلاحها من الخارج ، ولاصبحت الجرة سليمة واحتفظت بسعرها الاصلي كجرة جديدة · اما وقد طينت بهذا الشكل وثقبت كمصفاة ، فقيمتها لا يمكن ان تساوي الان اكثر من ثلث ثمنها ·

دون لولو : الثلث ؟

شيميه : (يتوجه بالكلام الى دون لولو طالبا منه الموافقة) حسنا ، الثلث · اسكت انت ·

دون لولو : لقد اشتريتها بست ليرات · والثلث يعني ليرتين ··

زي ديما : ولا اكثر من ذلك بقرش ·

شيميه : حسنا ، اعط دون لولو ليرتين اذن ·

زي ديما : من ؟ انا اعطيه ليرتين ؟

شيميه : طبعا ، فهو سيكسر الجرة ليخرجك منها ، وعلى هذا ينبغي لك ان تدفع الثمن الذي قدرته انت نفسك .

دون لولو : كلام طيب كالعسل .

زي ديما : انا ادفع ؟ سأبقى هنا الى ان اموت ولن ادفع قرشا . اوه ، تارارا ، ناولني الدخان من الصندوق .

تارارا : (يلبي طلبه) هذا ؟

زي ديما : شكرا .. كبريت لو سمحت (يشعل تارارا عود ثقاب ويضرم النار في غليون زي ديما) شكرا . (يجلس داخل الجرة وهو يدخن غليونه فيما الاخرون يضحكون) .

دون لولو : (بذهول) ماذا نفعل يا حضرة المحامي اذا اصر على البقاء وعدم الخروج ؟

شيميه (يحك برأسه مبتسما) انه شيء محير بالفعل . عندما كان يريد الخروج ، كان يمكن حل الاشكال ، اما وقد غير رأيه ..

دون لولو : (يتكلم مع زي ديما من اعلى الفتحة) ما هـو قصدك اذن ؟ هل تريد ان تسكن فيها ؟

زي ديما : (يطل برأسه) اني مرتاح هنا ، الجـرة افضل من منزلي • فالجو هنا منعش ، بل كأني في قصر بالفردوس • (يدخل رأسه الى داخل الجرة ويدخن غليونه بتلذذ) •

دون لولو : (غاضبا فيما الاخرون يضحكون) لا تضحكوا، ارجوكم ! اشهدوا كلكم على انه هو الذي يرفض الخـــروج حتى لا يدفع لي ثمن الجرة • اما انا فاني اعلن استعـــدادي لكسر الجرة (يتوجه بالكلام الى المحامي) هل بوسعي يـا حضرة المحامي ان اتقدم ضده بدعوى اغتصاب سكن بدون عقد ايجار ؟

شيميه : (ضاحكا) هذا ممكن بالطبع • ارسل لـه انذارا باخلاء المأجور بواسطة محضر •

دون لولو: ليكن ذلك ، مادام هو يمنعني من حق استعمـال الجرة •

زي ديما : (يطل برأسه مجددا) انك مخطىء • فأنا موجود هنا بغير مشيئتي • اخرجني من الجرة وانا اغادرك شاكرا •

اما بالنسبة للدفع ، فهذا لن يحصل ابدا ، والا فلن اتحرك من مكانـي ٠

دون لولو : (يمسك بالجرة ويهزها بحنق) اوه ، انـك لن تتحرك اذن ؟

زي ديما : هل ترى المعجون ؟ انه من غير حشو ؟

دون لولو : ايها اللص ٠ يا متشرد ويا غشاش ٠ مـــــن تسبب في الضرر ، انا ام انت ؟ وتريدني ان ادفع الثمن ؟

شيميه : (يمسكه من ذراعه) دعك من هذا التصرف ٠ اتركه فيها طوال الليل وغدا سيطلب منك اخراجه ٠ فاما ان يدفـع لك ليرتين او يبقى حبيسا في الجرة ٠ لنمض ولنتركه وشأنه ٠

زي ديما : (يطل برأسه من جديد من فتحة الجـرة) اوه ، دون لولو !

شيميه : (يتحدث مع دون لولو يحثه على متابعة السير) لا تلتفت اليه ٠٠ هيا ٠٠ لنمض ٠٠

زي ديما : (قبل ان يدخلا المنزل) ليلتكما سعيدة ٠ ياحضرة المحامي ، معي عشرة قروش ٠ (يلتفت الى الاخرين حالمـــا يدخل المحامي ودون لولو المنزل) لنلهو جميعـا ٠ اريـــد ان

احتفل بالمسكن الجديد ٠ هيا تارارا ؟ امض واشتر لنا نبيذا وخبزا وسمكا مقليا ومخللات فسنقيم احتفالا كبيرا ٠

الجميع : (مصفقين فيما يذهب تارارا مسرعا لشراء ماطلبه زي ديما) ليعش زي ديما ! يااللحظ السعيد !

فيليكو : انظروا ، القمر اطل علينا (مشيرا الى الجهة اليسرى) كأنه النهار !

زي ديما : اريد ان اشاهده انا ايضا ٠ انقلوا الجرة الى هناك ٠ مهلا ، مهلا (يساعد الجميع في نقل الجرة فيدفعونها حتى تدور على نفسها بأتجاه الممر في الجهة اليمنى) ٠ هكذا ، مهلا ، هكذا ٠٠ ياالجمال القمر لقد شاهدته ٠ انه يبدو كالشمس ٠ من منكم يغني لنا ؟

السيدة غايتانا : انت يا تريزينا ٠

تريزينا : بل كارمينيللا !

زي ديما : نغني جميعا اعزف انت يافيليكو على القيثارة وانتم غنوا اغنية عذبة وارقصوا حول الجرة ٠ (يخرج فيليكو القيثارة من جيبه ويبدأ في العزف عليها فيما الاخرون يغنون ويرقصون حول الجرة وهم متشابكو الايدي ، ويشجعهم

زي ديما على ذلك · يفتح باب المنزل على مصراعية على حين غرة ، ويخرج منه دون لولو غاضبا)

دون لولو : (صائحا) اين تظنون انفسكم ؟ في الحانة ؟ دونك ايها الكهل الذميم ، سأكسر عنقك · (يرفس الجرة بشدة فتندفع باتجاه المنحدر فيما يزعق الاخرون · يسمع صـــوت الجرة وهي تتكسر بعد اصطدامها بشجرة)·

السيدة غايتانا : (تواصل زعيقها) اوه ، لقد قتله !

فيليكو : (يتطلع مع الاخرين) كلا ، هاهو ، انه يخـــرج منتصبا · لم يمسه سؤ !

الجميع : ليعش زي ديما ، ليعش زي ديما ! (يرفعونه على اكتافهم محتفين به كأحد الابطال المنتصرين ويمضون به الـــى الناحية اليسرى)

زي ديما : (ملوحا بذراعيه في الهواء) لقد ربحت · انـــا الفائز !

(يسدل الستار)

المراجـع

— Corrado Simioni « Luigi Porandello » Arnoldo Mondadori Editore - Milano 1970 .

— Domenico Magri «Storia della Letteratura Italiano» Società Editrice Internazionale - Torino 1964.

— Edgard Cavalheiro «Mararilhas do Conto Italiano» Editora Cultrix - Sao Paulo 1957.

ـ د٠ رشاد رشدي « فن القصة القصيرة » مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ٠

ـ جورج تومسن « اسـخيلوس واثينـا : دراسـة فـي الاصـول الاجتماعية للدراما » ترجمة د٠ صالح جواد الكاظم ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ بغداد ٠

ـ د٠ عبد اللطيف احمد علي « التاريخ الروماني » مطبعة كريدية ـ بيـروت ٠

ـ د٠ عمر عبدالسلام تدمري « تاريخ العرب في الاندلس والمغرب »٠ محاضرات القيت على طلبة قسم التاريخ في كلية الاداب بالجامعـة اللبنانية ـ بيروت ١٩٧٨ ٠

ـ لودفيغ بينسفانغر « ذكريات صداقة » محاضـرة عـن فرويـد ، عرضها خلدون الشمعة في دراسته « نحو الانثروبولوجيا الفلسفية » مجلة « الفكر العربي » العدد الثالث ٠

فهرست

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

صدر حديثاً

في سلسلة اعلام الفكر العالمي

فرانز فانون
راسل
البير كامو
ماركوز
غيفارا
هيدجر
ماركس
فرويد
نيتشه
انجلز
ديكارت
هيجل
سارتر
اندريه مالرو
كافكا
بوشكين
بريخت
بيكيت
اراغون
متزيني
ميكافيللي

كانط
هوغو
غوته
دستويفسكي
لوركا
لوكاتش
غوركي
فيبر
روزا لكسمبورغ
جويس
داروين
تورغينيف
طاغور
ماياكوفسكي
اندريه جيد
فوكنر
غوغول
اورويل
برودون
بودلير
اناتول فرانس

رامبو
اوسكار وايلد
شتاينبك
برنارد شو
غرامشي
اودن
توماس مان
ادغار الان بو
رينان
سبينوزا
دوركيم
فلوبير
فورييه
بيرون
سرفانتس
بيراندللو
سان سيمون
مالارميه
تروتسكي
لورانس

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير
ت: ٣١٢١٥٦ ـ برقياً: موكيالي، بيروت
ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن

أو ما يعادلها